عويل الأشباح

كان الصمت موغلاً عند ساحة المقابر، باستثناء صفير متقطع للحشرات الليلية، الصادرمن قلب الحشائش المغبرة بصفرة الموت..

فجأة !!

برزت يد مهترئة اللحم، وعبر أنسجتها ظهر بياض العظ م..

وما هي إلا لحظات

حتى برزت الجثة كاملة من تحت الأرض،

تكسوها قطع من الملابس البالية الممزقة..

وعلى امتداد كامل المقابر

بدأ حشداً من الموتى في الخروج من جوف الأرض.

قصص قصيرة بقلم

علاء محمود

تأملات على السطح المصقول

تأمَلت الإضافات التي زادت إلى حنايا وجهها بفعل ضربات معول الزمن ، وتلمست شعرة تبدل لونها إلى الأبيض .. ثم زفرت لتخرج أنفاسها الحارة إلى سطح المرآة لتضببها لحيظات، وسرعان ما يلعقها العدم ..

أنهمرت الدموع غزيرة من مآقيها وهي تتذكره .. لقد عشقته حتى النخاع .. كان سعادتها .. ملأ روحها بالطمأنينة ، وروى نفسها الظمأى إلى الحب . كانت مجالستها له تملأها نشوة ، وتجعلها تهيم كالفراشة ، وتذوب من الوجد . أينتهي كل شيء بمثل هذه السهولة والسرعة ، ولم تمض بضعة أيام على إرتباطهما ؟
بعد أن كان مستقرها وملجأها .. أيغرق زورق أحلامها الجميل ؟

لقد حطمها على صم الصخور . تركها وسط فراغ خاذل ، ووحدة مضنية .. ألقاها من نعمائه إلى فلاة مقفرة موحشة ، قفرة شديدة ووحشة جاثمة .
أينتهي كل شيء ولم يخف بعد تلامس الخاتم الذهبي لإصبعها ؟ تلمسته بحسرة ، وطفرت العبرات من مآقيها ، وهي تشهق في ألم :

- يا إلهي .. لم تمض سوى بضعة أيام .. بضعة أيام فقط .

ضغطت بأسنانها على شفتها حتى أدمتها . هتفت بكل المرارة والثورة في أعماقها : لماذا يا حبيبي ؟ لماذا باغتني بهذه الطريقة؟
عادت تتأمل ملامحها على السطح المصقول، وتتساءل بلوعة :

- لماذا دمرتي أحلامي بهذه الوسيلة المفجعة ؟ لماذا ألهبتي قلبي بذلك السوط الموجع الأليم؟ ألن أعيش الحب أبداً ؟ كم أشتاق إلى موسيقى هادئة على ضوء الشموع . وردة نضرة . يد حانية تربت على كتفي ، وصياح طفل داخل مهد صغير.

عادت إليها ذكراه عندما عرف الحقيقة .. لقد شلت المفاجأة أطرافها ، وتملكها الشعور بالهوان والأنقباض البائس اليائس ، ولم يقو فوها على النطق ببنت شفة؛ كجرذ يرى الموت هراً زاحفاً. كان الموت عندها أهون بكثير .

تحسست وجهها بأناملها، لقد بدأت الأعراض في الظهور، والألم هائلاً في كل مرة .
أخذت تقلب رأسها يمنة ويسرة كاشفة كل مرة عن عارض من وجهها المنقبض، الذي أستقرت في صفحته شحوب مغبر مندى بحبات العرق.
ثم صاحت بصوت هادر : آآه .. يا إلهي متى ينتهي هذا العذاب .

ثم بدأ التحول بشكل مروع .
أنتشـرت تلـك الشـعيرات المخيفـة علـى جسـدها بالكامـل، وتضـخمت شـعيرات رأسـها حتـى صـارت ألاف مـن الديـدان المخيفـة بلونهـا الأسـود، وعينيهـا الحمـراء المضـيئة.. وتجعـد وجهها بطريقة مريعة حتى صار أقرب إلى وجه قرد عجوز لـه من العمر ألف سنة .. ثم التصقت قدماها ببعضـهما حتـى أمسـت كذيل وحش الكومودو ..
وجاءت نهاية التحول عندما أشتعلت عيناها كشموس صغيرة ..
بدأت تزحف إلى خـارج الحجرة، وهـي تحـاذر بشدة من شـيء واحد فقط ..
شيء تعلمته منذ بداية تحولها ..
ألا تنظر إلى السطح المصقول للمرآة ..
أبداً ..
فنظـرة واحـدة سـتفعل بهـا كمـا فعلـت هـي بضـحاياها علـى مـر العصور..

وكما فعلت بحبيبها الوحيد، الذي ذهل وكـاد يفقد عقلـه.. كانـت ستحيلها إلى تمثال ..

من الحجر .

أحتاج إلى رداء آخر

وقفت ترنو إلـى الأفق المربد المتواري خلف غَبَشُ رصاصـي صنعه البخار المتكاثف، وقد حشت جسدها في الكثير من دثـار. البحر غائم في سواد أعظم. الموج يرتطم بكتل الصـخور ويتنـاثر على الشاطيء الموحش، ويكاد يمس أخمص قدميها.
اليوم السابع الذي كاد أن يعبرها إلى يوم آخر. ذات الوقفة وذات الصقيع الذي يمنحها اصطكاك، وضباب أنفاس مرتعشة. من فوق كتفها الأيسر ترمق الكوخ الخشبي المهتز، الذي كـان مليئـاً بالـدفء والأمـل، والضـحكات التـي تعـانق الآفـاق. أمسـى الآن موحشًا مهجورًا إلا من صفير الريـاح المسمومة بـالبرد، وهـي ترجفه وتهب من خلال فراغاته.

- عد إليّ أرجوك.
تقـذف بهـا مـن حلقهـا، وتعلـو بيمينهـا ليعلـو معهـا المصـباح الشـحيح الضـوء. لكنهـا ككـل يـوم لا تجـد أي أثـر لـه منـذ أن غادرها على متن قاربه الخشبي.
تهوي فوق الرمال على ركبتيها وسيال من الذكريات يتَّضْحُ به عقلها.
الحب المحموم الذي يملأ الفؤاد حتـى يفيض، ويتنشر داخل فراغات الروح ليغذيها، ثم يغلف الجسد برداء من السعادة

السرمدية. وأسرتها التي أرادت تمزيق ذلك الرداء بأظافر النَّزَقُ الإجتماعي. لكنها أبت أن يزهقوا روحها، أو أن يعتقلوها خلف قضبان أنانيتهم المفرطة؛ لذلك كان هروبها من قصر الزيف حتمياً. هربت لتلوذ بين جوانح محبوبها. كان هذا يكفيها لتحيا في هناء، وبال رائق أبد الدهر.
تهتف بلوعة:

- هل هذه كنوز البحر التي تقاتل بحثاً عنها؟ أن تتركني وتضيع في قلب الأمواج. لعنة الله على كل ثروات العالم. لم أكن أبغي سواك، وسوى هذا الكوخ الذي كنت تملأه بأنفاسك الدافئة.

يجيبها البرق بلمعان أزرق ينتشر بعشوائية فوق تعاريج الغيوم الداكنة، ويمزق هزيم الرعد كلماتها، ويبعثرها حروفاً مبهمة ضائعة المعنى والمراد.
تتحسس الرمال المنداة التي كانت تجلس فوقها ملاصقة لزوجها، بينما هو يحتويها بذراعه، ويتأملان معًا الشفق الذي يعكس داخله شتاتاً من ألَقَ الألوان.
يبدأ المطر في التساقط لينقر رأسها، ويختلط بدموعها. تنهض كي تلوذ منه، وبأمل زائف تعلو بالمصباح مرة آخرى، وترنو إلى البحر الهادر.

رجفة ترج كيانها رجاً وهي تلمح تلك النقطة السوداء. البحر شديد الظلام، لكن تلك النقطة واضحة المعالم. إنه قارب زوجها.
تتقافز وقد ذهبت المفاجأة بعقلها، حتى كادت أن تلقي بنفسها في قلب الأمواج. القارب الخشبي يتعاظم، وتتضح معالمه أكثر، والمفاجأة ترجف كيانها أكثر وأكثر. لا تصدق ما تراه حتى ترتفع مقدمة القارب فوق رمال الشاطئ. تعدو في اتجاهه، وتقفز داخله بسرعة لا تصدق. تلقي بنفسها على صدر زوجها وتنتحب قائلة:

- أين كنت يا زوجي العزيز؟ لقد فقدت أدنى أمل لعودتك لي مرة آخرى.

تشعر به وهو يصطك من الصقيع، يتشبث بها وهو يقول:

- البرد يقتلني.. أحتاج إلى رداء.

تنزع عن نفسها رداء تلتحف به، وتدثره هامسة:

- قم معي لنذهب إلى كوخنا.

يهتف بلهجة عجيبة:

- ضميني.

شيء في لكنته أخافها بشدة. لقد كانت دائماً تعشق صوته الهاديء النحيل. لكن صوته هذه المرة بدا لها مشروخاً مقبضاً.

رفعت وجهه إليها تتأمله، لكنها تراجعت مذعورة إلى الخلف، لتسقط من فوق القارب فوق الرمال.

- أنت لست زوجي.

خرجت الكلمات من حلقها مهتزة، وهي تتراجع زاحفة على مرفقيها وظهرها، بينما هو يقفز من فوق القارب، ويتقدم نحوها ببطء أثار في نفسها رعباً بلا حدود.

يركع على ركبتيه، ويضرب الرمال بقبضتيه، ثم يرفع عَقِيرَته لأعلى، بينما من حلقه يتعالى ذلك العواء الشيطاني؛ ليتردد في الفضاء البَهيم.

تتأمله بذهول عارم، وتنهض مترنحة من الهلع الشديد؛ لتلوذ بالكوخ الخشبي. تتوارى داخله، وتغلق الباب خلفها بإحكام.

يتردد ذلك العواء في الخارج، ويختلط بصوت دقات المطر، التي تنقر الكوخ، وتتقاطر من خلال فجوات ألواحه الخشبية.

يضرب الباب ويرجه حتى يكاد يخلعه من إطاره، ويهتف بصوت ناحل مشروخ:

- الصقيع يكاد يزهق روحي.

تقبع في ركن الكوخ، وتضم قبضتيها معاً وتقربهما من صدرها. تهتز إلى الأمام وإلى الخلف، وهي تصيح:

- من أنت؟

يهوي الباب مرتطماً بالأرض في دوي مزعج، ويتقدم هو لتلمح وجهه على ضوء المصباح المتدلي من السقف. كان زوجها حقاً، لكن زرقة مخيفة تكسو جلده، بينما تلاشى بريق

عينيه خلف بياض معتم. يلتقط كفها لينهضها من جلستها ويحتضنها. حاولت التنصل من إحتواءه لها، لكنها لم تملك إلا الارتجاف المتواصل المحموم، بينما كان بدنه المثلج يضرب لحمها وعظامها بخناجر من صقيع.

تهتف منتحبة:

- ماذا حدث لك؟

يجيبها بصوته الذي صار يقشعر منه بدنها:

- أيام لا أذكر عددها ضائع في قلب البحر. البرد كان يجلدني بقسوة حتى تمنيت الموت. ثم جاء ذلك الصوت الشيطاني ليرشدني إلى الطريق.

سألته وهي تشعر بالبرد يغزو جسدها:

- أي صوت؟

أحاط وجهها بكفه، وهو يجيب:

- لا أتذكر.

تأملت بعينين مذعورتين لحم وجهه وهو يتساقط، وأردات التملص منه، لكنه تشبث بها، وهو يقول:

- البرد يقتلني.. أحتاج إلى رداء يدفء جسدي.

زادت في محاولتها للتملص، وقد أصابها ما يحدث لوجهه بحالة من الهيستريا. لكن حركاتها سكنت فجأة، بينما سقط هو مرتطماً بالأرض.

تحركت ببطء إلى المرآة القريبة، تتأمل وجهها التي أنتشرت عليه شعيرات زرقاء طفيفة.
- تباً.. أحتاج إلى رداء آخر.
تصاعدت من حلقها بصوت ناحل مشروخ. بينما الرياح ما زالت تعصف بالخارج.

المُلتهم..

الجثث معلقة من قدميها .. مسلوخة الجلد بطريقة بارعة للغاية.. المكان شديد البرودة كأي مبرد يحترم نفسه .. ثمة مناضد معدنية عليها أجزاء من قلوب وأكباد بشرية ..
تأمل (عاصم) – الضابط – المكان وقال في إشمئزاز :
- أي جحيم هذا ؟!
أجابه (رأفت) – الطبيب الشرعي – قائلاً :
- يبدو أن هذا المبرد لحفظ جثث الموتى .
غمغم (عاصم) في سخرية :
- يا للذكاء .
بدا وكأن الطبيب لم يسمعه ، وأردف قائلاً :
- ويبدو كذلك أن هذا المكان يخص مُلتهم .
عقد (رأفت) حاجبيه في دهشة ، وردد في تعجب :
- مُلتهم !!
- نعم يا عزيزي .. مُلتهم .. نوع من القتلة المتسلسلين لكنه لا يكتفي بقتلهم فقط .. بل انه يأكلهم كذلك .
- يا للبشاعة .. تقصد كأفلام الرعب الرخيصة .
- بل اقصد ما قلته تماماً .. المُلتهم قاتل يلتهم ضحاياه وموجود بالفعل ، ليس محض خيال .. بل توجد مواقع على

شبكة المعلومات الدولية تجمع بينهم ؛ ليتشاركوا في الخبرات والهوايات .

- هوايات!! صدقني لو أمسكت هذا السفاح السادي سأمزقه إرباً وسألتهم قلبه وكبده.

- أنصحك ألا تفعل يا صديقي .. إلتهام البشر يتحول بمرور الزمن إلى ادمان لا شفاء منه .

نظر (عاصم) إليه في عدم تصديق ، وقال :

- هل تعتقد فعلاً أنني سأفعل هذا .. هو مجرد تعبير مجازي .

أبتسم (رأفت) في هدوء ، وقال :

- أعلم يا صديقي .. هو مجرد تباهي بمعلومة .. الآن لنتشارك ما حدث .. لقد جاءك بلاغ من مجهول يقول : ان هناك رائحة عفن مثيرة للغثيان تأتي من هذا المخزن المهجور .. إقتحمنا المكان لنجد أنه لا توجد اية رائحة على الأطلاق ، ونفاجيء بهذا المبرد ، وهذه الجثث المذبوحة .. ماذا تستنتج من هذا ؟

أخذ (عاصم) يفكر بعمق ، وقال :

- نظراً لخبرتي في التعامل مع كافة أنواع الجرائم ، أرجح أن الذي قام بالإتصال يعرف هذا المُلتهم ويخشاه كذلك ،

وليتخلص منه قام بالإتصال بنا مدعياً إنبعاث روائح .. معنى هذا أنه يعرفه عن قرب .. ربما جاره أو صديق أو حتى أحد أفراد أسرته ..

- تفكير منطقي للغاية يا صديقي .

- وهذا يقودنا إلى أن المتصل عندما أبلغ عن هذا المكان، يعلم يقيناً أنه سيقودنا كذلك إلى مقر المُلتهم .. السؤال الآن : كيف ؟

***

كان (يوسف) عجيب الهيئة للغاية .. ذو بشرة شاحبة ، وملابس رثة قذرة ممزقة ، وشعر مغبر أشعث ، وعينان غائرتان تحيط بهما هالة سوداء .. كان كذلك مكبلاً بالفراش بقيد حديدي !

بكل طاقته حاول أن ينتزع القيد من معصميه بحركة هيستيريه .. مطلقاً صرخات مشوهة بفم ملوث بدماء متخثرة .

أنفرج الباب عن سيدة حسناء في منتصف الأربعينات من عمرها .. تقدمت نحوه وهي تتلفت في خوف مبهم ، وقالت بصوت خافت :

- اهدأ يا ولدي العزيز .. لا داعي لمحاولتك لفك القيد .. أنت تعلم أننا ما فعلنا هذا إلا من أجلك فقط .

نظر لها (يوسف) بعينين زائغتين برهة ، ثم هجم عليها فجأة .. لكن القيد الحديدي أعاده مرة آخرى للخلف.

هتفت والدته في جزع وبعينين دامعتين :

- اهدأ يا ولدي ارجوك ، واحذر القيد حتى لا يمزق معصميك .

ربتت على رأسه في حنان .. ثم أسرعت تغادر الغرفة .

تقدمت نحو المائدة التي يجلس عليها زوجها وأبنها الآخر ، وقالت :

- انه في حالة هياج ، ويحاول فك القيد .

صاح الأب بصوت هادر :

- لقد صار خطيراً للغاية ، وهذا يجعلني أفكر في قتله للخلاص منه للأبد .

هدأت الأم من ثورته ، وقالت :

- نقتل ولدنا ! لا تنطق بمثل هذه الكلمات مرة آخرى .. مهما حدث منه فهو سيظل ابننا ، ويجب أن نحافظ عليه وعلى سلامته مهما كلفنا الأمر .

- وماذا سنفعل إذا جاءت الشرطة إلينا مثلاً .

هب الإبن في ذعر واضح ، وقال :

- الشرطة !

عقد الأب حاجبيه ، وقال بلهجة حذرة :

- ماذا دهاك . نعم الشرطة .. هل تظن أنها لن تعلم .. صحيح أننا أتخذنا اللازم ، وقيدناه بالجدار ، ولا يوجد أي دليل .. لكن ماذا سنفعل إذا ما جاءوا ورأوه على هذا الوضع .

أنطلق صوت طرقات عالية على باب المنزل .. جزع الجميع على نحو واضح ، وهتف الأب بصوت وجل :

- من ؟

اتاه صوت قوي عميق النبرات ، يقول :

- عاصم .. ضابط مباحث .

***

تأمل (عاصم) وجوه الجميع بنظرة متفحصة .. تأمل الأم الحسناء على الرغم من سنها المتقدم ، وتأمل الأب التي تشي ملامحه بأصل عريق ، والإبن ذو العوينات والتي دلت هيئته أنه طالب طب أو هندسة ، وقال :

- اعتذر إن كنت تسببت لكم في أي قلق .. لكني هنا لأمر حيوي وهام إلى أقصى حد .

جلس معهم وأخذ يقص أحداث اليوم ، ثم اكمل قائلاً :

- وقادنا المخزن إليك يا سيدي .

أخرج الأب منديلا ورقياً معطراً ، واخذ يجفف به عرقاً وهمياً ، وقال في توتر :

- نعم .. نعم .. هذا المخزن تابع للشركة التي امتلكها .. لكنه مهمل إلى حد كبير ؛ فكما تعلم أن الأغذية والمأكولات تنفذ سريعاً .. هل تتخيل أن صفقة الخضروات المجمدة نفذت في يوم واحد .

نظر (عاصم) له طويلاً ، ثم قال :

- من يملك مفاتيح المخزن غيرك ؟
- امين المخزن .
- وأين هو ؟

- انه مريض للغاية ، وقدم على طلب معاش مبكر .. ونظراً لسلوكه القويم طوال فترة عمله منحته ما يريد .

تامل (عاصم) الإبن ، وقال :

- أنت طالب طب .. أليس كذلك ؟

أخذ الإبن يفرك كفيه في توتر ، وقال :

- في الحقيقة أنا طالب بكلية التجارة .

مط (عاصم) شفتيه في خزل لعدم صحة استنتاجه ، ثم قال موجهاً كلامه للأم :

- وأنتِ يا سيدتي ماذا تعملين ؟

نقلت الأم نظراتها بين زوجها وابنها في توتر ، وابتسمت وهي تقول في تلعثم :

- لا .. لا اعمل يا سيدي .. انا متفرغة للمنزل .

سألها (عاصم) على نحو مباغت ، وقال :

- هل لديكم ابناء آخرون ؟

ندت آهه من بين شفتي الأم ، وقالت :

- لا .. لا .. أ .. أقصد نعم .. نعم .

عقد (عاصم) حاجبيه في انتباه ، وقال :

- نعم أم لا .
- نعم يا سيدي .. لدينا ولداً آخر .. ابني الأكبر (يوسف)
- واين هو الآن ؟
- هو .. هو .. انه مريض .. نعم .. نعم .. مريض ويمكث عند والدتي لحين شفائه .

تناهى إلى سمع (عصام) صوت مكتوم ، فقال في حذر :

- ما هذا الصوت ؟

زاغت نظرات الأم ، وقالت في توتر شديد :

- هذا ابني (يوسف) كما قلت لك انه مريض للغاية .

نظر لها (عاصم) في حدة ، وهتف قائلاً :

- لقد قلتي سابقاً انه عند والدتكِ .
- نعم .. نعم .. عند والدتي .. اقصد كان .. لقد آتى اليوم .. الجو يزداد برودة .. هل اعد لك قدح من الشاي .
- اشكرك يا سيدتي .. هل يمكني رؤيته ؟
- من ؟ رؤية من ؟ نعم نعم بالتاكيد .. أنت تقصد ولدي يوسف .. لكني كما قلت مريض .. مريض للغاية .. مرض معدي .. نعم .. نعم .. هو كذلك .. مرضه معدي للغاية . . هل اعد لك الشاي .. كم تبغي من السكر .

تأملها (عاصم) في حيرة ، وقال :

- حسناً يا سيدتي .. اشكركِ كثيراً .. ملعقتان سكر فقط .

ذهبت الأم لتعد الشاي .. بينما ألتفت (عاصم) إلى الأب ، وقال :

- هل تستطيع يا سيدي التفكير في شخص يستطيع أن يستعمل مخزنك دون علمك ؟

اخذ الأب نفساً عميقاً ، وقال :

- في الحقيقة لا .. المخزن مهجور منذ فترة كبيرة ، ويقع في منطقة نائية مهجورة ، ويستطيع أي شخص أن يحطم اقفاله ويضع غيرها بمنتهى السهولة .

وقف (عاصم) ، قائلاً :

- هل تسمح يا سيدي بتفتيش منزلك ؟

وقف الأب بدوره ، وقال في حيرة :

- وماذا تظن أنك ستجد هنا .. انا رجل اعمال محترم ، وارفض هذا الأسلوب . ثم هل تملك تصريح بهذا ؟
- لا يا سيدي .. هو مجرد طلب .. انت تعلم ان هذه الجريمة بشعة وخطيرة إلى اقصى حد .. في الصباح وعند نشر خبر المخزن والجثث سينقلب المجتمع رأساً على عقب ، وسيدب داخله الرعب والفزع لوجود سفاح طليق يلتهم البشر .

هز الأب رأسه ، وقال :

- للأسف لن استطيع أن أفيدك في شيء .
توجه (عاصم) نحو الباب ، وهو يصيح في صرامة :
- سنرى عندما احضر مرة آخرى ومعي التصريح اللازم .
جاءت الأم تحمل صحيفة عليها أقداح الشاي ، وقالت في هدوء نفسي :
- الشاي يا سديدي .. هل ستذهب قبل تناوله ؟
جذب (عاصم) الباب وهو يقول :
- شكراً يا سيدتي .. المرة القادمة عند .....
تناهى إلى مسامعه فجأة صوت جلبة وصليل معدني وهمهمات مكتومة .. أخرج مسدسه في سرعة ، وهو يقول :
ما الذي يحدث هنا ؟

قرن قوله بإندفاع مفاجيء تجاه الغرفة المغلقة التي آتى من جوفها الصوت ، لكن الأم أسرعت تعترض طريقه وهي تقول :
- ارجوك يا سيدي لا يوجد شيء هناك .
أزاحها (عاصم) عن طريقه في خشونة ، وهو يصيح :
ابتعدي .

اسرع يدفع الباب بكل قوته لكنه آبى أن يتزحزح ؛ فأخذ يركله بقوة ، وهو يقول :

- قدح من الشاي .. أليس كذلك .. كي تغلقي الباب بالمفتاح .
هجم عليه الأب يحاول تكبيله ، بينما اخذت الأم تصيح قائلة :
- سيدي .. لا يوجد شيء هنا .

انفتح الباب بقوة ، وشاهد (عصام) الإبن العجيب الهيئة . المكبل بالأغلال .. تأمله في ذهول وهو يهتف :
- ما هذا بحق الجحيم ؟!

***

تقدم (عاصم) في بطء ، وهو يتأمل هذا الشيء المكبل بقوائم الفراش ، وقال :
- هذا هو المُلتهم ..ابنكم .. أليس كذلك ؟ تحاولون حمايته .

هزت الأم رأسها نافية ، وقالت :
- لا ليس هو .

عقد (عاصم) حاجبيه في عدم فهم ، وقال

- ماذا تقصدين ؟

هجم الأب والأم والإبن فجأة على الضابط ، وهتف الأب وهو يقول في شراسة :

- كلا .. ليس هو بل نحن .

ثم نشب أسنانه في رقبة (عاصم) لينتزع منها جزء كبير .. تاركاً مكانها فجوة اندفعت منها الدماء كالنافورة.. بينما صرخات عاصم تتعالى في ألم رهيب .

اخذ الأب يلوك القطعة في تلذذ .. بينما هتفت الأم قائلة :

- ألن تنتظر حتى نقوم بطهيه يا عزيزي .

هتف الأب في توحش :

- لا .. أنا أفضل اللحم الطازج والدماء الساخنة .

تراجع الإبن المكبل بالفراش في رعب وذهول ، وحاول التقيء لكن جوفه الفارغ رفض .. تقدمت والدته وهي تحمل قطعة من اللحم ، وقالت :

- هل رأيت هيئتك كيف صارت .. كل هذا بسبب رفضك ان تتناول اللحم البشري وذعرك الغير مبرر منا .. لقد غارت عيناك وهزل جسدك .. لا اعلم ما الذي جعلك مختلف عنا

.. الأدهى انك قمت بالإتصال بالشرطة تبلغ عن ثلاجة طعامنا .. وهذا سيجعلنا نترك هذا المكان إلى مكان آخر بعيد .

همهم الإبن في صوت مبهم متحشرج .

تحسست والدته الدماء المتجمدة على فمه ، وقالت في آسى :

- للأسف لن تستطيع الكلام بعد الآن .. بعد ان انتزعنا لسانك .

ثم تأملت ابنها الآخر الذي انهمك في التمزيق والأكل ، وقالت :

- من الجيد أن ابني الآخر لم يكن مثلك ، وإلا لتفككت اسرتنا السعيدة .

تأملت قطعة اللحم تتشممها في تلذذ ، ثم انشبت فيها أسنانها لتلوكها في استمتاع بالغ .

القادم من المقابر..

كان الصمت موغلاً عند ساحة المقابر، باستثناء صفير متقطع للحشرات الليلية، الصادرمن قلب الحشائش المغبرة بصفرة الموت..
فجأة..
برزت يد مهترئة اللحم، وعبر أنسجتها ظهر بياض العظم.. وما هي إلا لحظات حتى برزت الجثة كاملة من تحت الأرض، تكسوها قطع من الملابس البالية الممزقة.. وعلى امتداد كامل المقابر بدأ حشداً من الموتى في الخروج من جوف الأرض.

بعينين متسعتين من الهلع كانت (نسمة) تراقب جيش الجثث هذا، وجهازها العصبي بالكامل متحفزاً لأعلى درجاته.. وبغتة وبدون سابق أنذار، وجدت (نسمة) أصابع تتلمس كتفها من الخلف؛ فهبت في رعب شديد، وأخذت تتقافز وهي تصرخ بهيستريا.

انطلق (إيهاب) زوجها يضحك في شدة، ويقول بلهجة ساخرة:
- لماذا وأنتِ تخافين هكذا تشاهدين هذه الأفلام المرعبة؟!

ألتقطت (نسمة) أنفاسها المتقطعة، وقالت بتوتر:
- أنا لست خائفة.. لقد فاجئتني فقط.

أبتسم (إيهاب)، وهو يقول:
- بالتأكيد لستِ خائفة.

- ومما أخاف؟! أنت تعلم أن هذه الأفلام خيالية، ومستحيلة الحدوث على أرض الواقع.

- من قال هذا؟
- العقل والمنطق بالتأكيد .. هل يمكن حدوث حالة استيقاظ للموتى؟!
- ممكن بالطبع.
- هذا مستحيل يا عزيزي.
- ولماذا مستحيل؟ هناك ألف طريقة لذلك.. من الممكن أن تستولى كائنات فضائية على أجسادهم وتحركها.. ومن الممكن أيضاً أن تحدث طفرة للكائنات الطفيلية، وتتمكن حينذاك من السيطرة على الجثث وتحريكها، وهناك السحر الأسود، و ....

قاطعته (نسمة) بسخرية، وهي تقول:
- هذا محض خيال وهراء.

حدق (إيهاب) بوجهها، وقال بطريقة مخيفة:

- أنا رأيت بنفسي جثة تتحرك عند المقبرة القريبة من منزلنا.

تجمدت السخرية على ملامح (نسمة)، وسألته بوجل:
- أنت تحاول إخافتي.

هنا أخذ (إيهاب) يضحك بشدة، ويقول:
- نعم يا عزيزتي .. هذا صحيح.

انطلق فجأة جرس الهاتف يدق في قوة، جعلت (نسمة) تشهق في ذعر.. ألتقط زوجها سماعة الهاتف، وقال:
- آلو.

أنصت قليلاً ثم قال وهو ينظر إلى ساعته:

- ألا ترى أن الوقت متأخراً بعض الشيء.

أنصت مرة آخرى، ثم قال :
- حسناً.. سأحضر حالاً.

نظرت زوجته له وهو يضع سماعة الهاتف، وسألته في فضول:
- من المتكلم؟

زفر زوجها بضيق، ثم قال:
- المشفى تحتاجني لإجراء عملية جراحية سريعة.

- وهل ستتأخر؟
- الله وحده أعلم يا حبيبتي.. سأفعل ما بوسعي كي أنتهي سريعاً.
- حسناً يا حبيبي.. وفقك الله.
ألتقط زوجها سلسلة المفاتيح من فوق الطاولة، ثم غادر الفيلا، وأغلق الباب خلفه بهدوء.. في حين توجهت (ياسمين) إلى النافذة، وفتحتها ببطء؛ لتندفع إلى الداخل موجة هواء شديدة البرودة، جعلت جسدها يرتجف، وأسنانها تصطك في صرير مسموع..
تأملت زوجها الذي أخذ يلوح لها من داخل السيارة مودعاً، ثم السيارة ذاتها التي أخذت تبتعد في بطء، وأحتضنت ذراعيها بكفيها، وهي تقول:
- يبدو أن الليلة ستكون شديدة البرودة .

تأملت السحب المنخفضة التي أخذت تتكاثر في سرعة، ثم أردفت:
- وممطرة كذلك.

***

شعرت (نسمة) بالوحشة الشديدة.. فالفيلا تقع في منطقة منعزلة، فوق ربوة عالية، ومن أسفل الربوة يوجد طريقين .. أحدهما يمر عبر مجموعة من الأشجار الكثيفة، والحشائش، والمقابر الخاصة بالمدينة..

الطريق الآخر يمر عبر مساحة عارية من الكثبان الرملية، والتكوينات الصخرية البشعة الشكل، وعدد من الأعمدة التي تحمل فوقها الكابلات المغذية للكهرباء..

لم تجد (نسمة) شيئاً تقطع به الوقت إلا أن تصعد لحجرتها، وتحضر بعض مجلات الموضة والسينما التي تفضلها..

دلفت إلى الغرفة، وانتقت بعض المجلات، ثم أخرجت من داخل صوان الملابس رداء ثقيل؛ كي يخفف عن جسدها تلك البردوة التي اعترته.. شعرت بلفحة شديدة البرودة؛ فأسرعت إلى النافذة لتغلقها جيداً.. وبينما هي تهم بإغلاقها، لمحت دائرة عجيبة من الضوء تلمع في السماء، عند إتجاه المقابر.. ولمحت أيضاً ما يشبه عامود من النور يهبط من داخلها..

شعرت (نسمة) بالتوتر، ودققت النظر في دائرة الضوء، لكنها سرعان ما تلاشت كأنها لم تكن.. تفحصت السماء

بعينيها، وهي تتساءل " هل ما رأته وهماً أم حقيقة؟ أم هو البرق؟"

هزت رأسها، وكأنها تقول لنفسها: " لابد أنه البرق"

غادرت الحجرة إلى أسفل، ووضعت المجلات فوق الطاولة التي تتوسط الردهة، ثم ذهبت لتعد لنفسها قدحاً من الشاي الساخن؛ ليمنح جسدها شيء من الدفء.

***

ارتشفت (نسمة) رشفة من الشاي الساخن، وهي تقلب أحد المجلات..
لمع فجأة ضوء من الخارج .. شعرت هي بالتوتر، ونهضت بقلق شديد، ثم أطلت من النافذة؛ لترى من أين يأتي الضوء؟ .. لكنها ابتسمت عندما رأت البرق يلمع في السماء.. تأملت البرق قليلاً وهو يرسم أشكالاً عديدة متعرجة.. وسرعان ما دوى هزيم الرعد ممزقاً سكون الليل، ثم هطلت الأمطار بغزارة؛ لتغرق كل شيء، وتضرب زجاج النافذة بقوة..

لمحت (نسمة) فجأة على مبعدة شيئاً ما يتحرك!

لم تستطع تبين ماهيته؛ فالظلام كان ثقيلاً، والأشجار تشكل ستارة متشابكة تخفي أكثر مما تظهر..

انتابها هاجس مخيف؛ فأسرعت ترتقي درجات السلم إلى غرفتها؛ حيث الرؤية أفضل..

مدت بصرها تدقق النظر، بينما قلبها يخفق في قوة..
فجأة.. لمع البرق، وأضاء مساحة ضيقة باللون الأزرق، وعلى ضوءه لمحت - هي - ذلك الشيء الذي يتحرك..
لم تستطع رؤيته بوضوح؛ فالبرق كان سريعاً.. لكن ما رأته كان كفيلاً بجعلها ترتجف من الرعب..
لم يكن الباعث على الرعب هو هيئة ذلك الشيء.. بل لأنه كان يزحف..
يزحف ببطء شديد..
ومخيف..

***

أخذت (نسمة) ترتجف من قمة رأسها، وحتى أصابع قدميها.. كانت تشعر بالخوف الشديد، والوحدة.. تمتمت وأسنانها تصطك

من الهلع: " أكان للمشفي أن تطلبك يا إيهاب؟ لماذا ذهبت وتركتني وحيدة؟ ماذا أفعل الآن؟"

شعرت للحظات أن خوفها بلا مبرر.. فقد يكون ما رأته مجرد حيوان جريح..
هتفت بسخط: " تباً لي من حمقاء.. لن أشاهد أفلاماً مرعبة بعد اليوم"

ذهبت إلى خزانة الملابس، وأخرجت من داخلها مصباحاً يدوياً.. وقفت عند النافذة، وأسدلت الستائر إلا من فرجة ضئيلة للغاية، ثم أضاءت المصباح بحذر، وسلطت شعاعه في إتجاه الشيء الذي لمحته..
كانت أوراق الشجر تلمع، والأرض موحلة بشدة من سيل المطر الشديد.. ولا شيء آخر... شعرت (نسمة) براحة هائلة تغزو جسدها؛ فقالت لنفسها: " يبدو أن مواجهة الإنسان لمخاوفه ناجحة بالفعل و....."
بترت عبارتها فجأة، وجحظت عيناها بشدة، ثم رفعت كفيها لتمنع صرخة كادت تنطلق من حلقها.. وغصباً عنها هوى المصباح على الأرض؛ ليتهشم بدوي مزعج.. فما رأته كان مخيفاً للغاية..

لقد رأت جثة ..

جثة تتحرك!!

***

مرت بضعة دقائق، وهي متجمدة مكانها لا تتحرك..
لقد أصابها الرعب بشلل مؤقت..
لم يكن هناك أدنى شك فيما رأته..
الملابس الرثة الممزقة.. ملامح الوجه المشوهة.. الحركة الآلية في المشي..

ذات الهيئة التي رأتها مراراً في أفلام الموتى الأحياء..
أخذت تفكر - وهي ترتجف بشدة- ماذا تفعل؟

اندفعت بلا مقدمات تلتقط سماعة الهاتف، وبأصابع مرتعشة طلبت رقم المشفى التي يعمل بها زوجها..

هتفت بصوت خافت مرتعش:
- آلو.. مشفى (.....)

أصغت لحظات ثم قالت:
- هل يمكني مهاتفة الطبيب (إيهاب)؟ .. أنا زوجته.. حسناً أنا في الأنتظار.

مر الوقت بطيئاً، ثم هتفت فجأة بحدة:
- أخبره أنني أحتاجه لأمر بالغ الأهمية.. أقتحم غرفة الجراحة إذا لزم الأمر.. ماذا؟! ... اللعنة.

هتفت بالكلمة الأخيرة وهي تضع السماعة بعنف، ثم هتفت بحنق: " زوجي مشغول بجراحة عاجلة.. ماذا أفعل الآن؟"

تعالى فجأة صوت فرقعة عالية، ثم غرقت الفيلا في ظلام مطبق..

صرخت (نسمة) في رعب، وهتفت قائلة لنفسها: "يبدو أن البرق تسبب في إنقطاع التيار الكهربائي.. ماذا أفعل يا إلهي؟"

تسللت بحذر شديد تجاه النافذة؛ لترى أين ذهب الميت الحي؟!

لكنها أنطلقت تصرخ في هيستريا؛ عندما لمحته في مواجهتها مباشرة خلف زجاج النافذة..

***

شاهدت عن قرب ملامح وجهه المرعبة الموحلة.. ونظراته الباردة التي أخذت تحدق بها..
انتفضت بعنف، وتراجعت إلى الخلف بشدة، حتى كادت تسقط أرضاً، ثم انطلقت تعدو إلى الطابق العلوي، ودلفت إلى حجرتها، وأوصدت الباب خلفها بقوة، ثم أسندت ظهرها على الباب، وأنفاسها تتلاحق في سرعة... كانت لا تعلم ماذا تفعل في مواجهة ذلك الشيء؟

فجأة.. تعالت طرقات عالية على باب الفيلا الخارجي..
طرقات عنيفة جعلت الباب يرتج بقوة..

جلست (نسمة) على أرضية الحجرة، وهي تسد أذنيها بكفيها، والدموع تنساب من مآقيها بغزارة.. كانت تشعر بالرعب، والفزع، والوحشة.. وعلى وشك الإصابة بانهيار عصبي حاد..

تعالت الطرقات تضرب الباب بحدة وقوة أكبر.. كان على ما يبدو أن ذلك الشيء مصمم على دخول المنزل.. مهما كان الثمن..

توقفت الطرقات دفعة واحدة؛ فتساءلت (نسمة): " هل رحل؟"

وجاءت الإجابة بأسرع مما تتخيل، حين دوى صوت تهشم النافذة الزجاجية في الطابق الأرضي، وبات من المؤكد أن ذلك الشيء في طريقه إلى الداخل..
داخل الفيلا..

***

لم تملك (نسمة) شيئاً تفعله غير محاولة الاختباء..
فتحت باب خزانة الملابس ببطء، وأزاحت بعضها، ثم قبعت كاتمة أنفاسها بعد أن أغلقت الباب عليها..
تناهى إلى مسامعها صوت حفيف خطوات تتجول داخل الصالة في الطابق السفلي ..
كتمت أنفاسها وهي ترتجف من الهلع، وتفكر في ذات الوقت "من أين جاء ذلك الشي؟"
تذكرت فجأة دائرة الضوء التي لمحتها؛ فقالت لنفسها:" يبدو أن نظرية زوجي أمست حقيقة، لابد أن في الأمر مخلوقات فضائية احتلت جثث المقابر"

تناهى إلى مسامعها صوت خطوات بطيئة؛ جعلتها تكاد تسقط فاقدة الوعي؛ فصوت الخطوات يقترب من حجرتها... توقفت الخطوات أمام باب حجرتها مباشرة، وجاء صرير مقبض

الباب؛ ليؤكد لها أن ذلك الشيء سيقتحم الغرفة حتماً، وفي هلع تساءلت: "ماذا أفعل يا إلهي؟"

***

تعالى صوت صرير مقبض الباب أكثر، وتعالت دقات قلب (نسمة) كذلك.. الصرير يتبدل إلى خبطات قوية، لكن الباب يصمد أمامها.. الصوت يصمت هنيهة، ثم يتعالى على هيئة خبطات قوية ترج الباب رجاً، وتكاد تخلعه من إطاره... تفلت من بين شفتي (نسمة) صرخة هلع.. الخبطات تتلاشى فجأة، وصوت حفيف الأقدام يبتعد ..

تنفست هي الصعداء، وأخذت تفكر في طريقة تخرجها من هذا المأزق القاتل. دفعت باب خزانة الملابس ببطء شديد، وبحذر تلمست الأرض كي لا تصدر أي صوت.. هي تحتاج فقط بعض الوقت حتى يعود زوجها. لكن ماذا سيفعل أمام هذا الشيء الميت فعلياً ؟!
لم تجد غيرطريقة واحدة للخلاص، أن تهرب من المنزل بأكمله، وليذهب هذا الشيء إلى الجحيم.

تسللت بحذر شديد تجاه النافذة؛ فهي الطريق المتاح للهرب؛ فهذا الميت يتجول بالقرب من الباب.

فتحت النافذة ببطء شديد . شديد للغاية. وأطلت برأسها كي ترى الطريقة المناسبة لخروجها.. وجدت أفريز ضيق يمتد من أسفل النافذة. تابعته ببصرها حتى لمحت ماسورة تصريف المياه.. تمتمت قائلة : " أستطيع المشي على الأفريز حتى أصل للماسورة، ثم أستخدمها في الهبوط"

أعقبت قولها بفعلها، وخرجت من خلال النافذة؛ لتقف على الأفريز الضيق، وببطء وحذر بدأت تمشي.. تساءلت بتوتر: " ترى أين هذا الشيء الآن؟"
جاءها الجواب بأسرع مما تتخيل، عندما وجدته يطل برأسه من نافذة الحجرة المجاورة، ويحدجها بنظرة باردة، ومرعبة.
***
أذهلتها المفاجأة المرعبة؛ فأطلقت صرخة قوية، وتراجعت بحدة.. لكن حركتها المباغتة جعلتها تفقد توازنها وتهوي من فوق الأفريز، إلى الأرض الموحلة.

شعرت بألم هائل يسري في بدنها، عندما ارتطمت بالأرض، وشعرت بعدم قدرتها على الحركة.. مدت بصرها تجاه النافذة التي كان يطل منها

ذلك الشيء؛ فوجدته يتوارى للداخل .. حاولت الوقوف كي تهرب؛ لكن الألم كان لا يطاق..

وجدت فجأة من يمسك بقدمها.. صرخت بهيستريا " لا .. لا .. لا " وحاولت الزحف بعيداً .. بينما أخذ ذلك الشيء يجذبها بشدة.. عاودت الصراخ، وهي تحاول التشبث بالأرض.. لكنها فشلت بسبب الأرض الموحلة؛ فبدأت تركله بعصبية، إلى أن نجحت في التحرر من قبضته، وبدأت في الزحف بعيداً، ثم وقفت وبدأت تعدو تجاه منطقة الأشجار.

أخذت تركض بكل قوتها، وكأنها تحولت إلى ألة للعدو فقط .. وكل ما يشغل تفكيرها هو الهرب.. الهرب بأي طريقة ومهما كان الثمن..
كانت الأرض زلقة بفعل الأمطار، وكادت (نسمة) أن تفقد توازنها أكثر من مرة، وأغصان الشجار برزت كأذرع الشيطان، وكانت ترتطم بوجهها وجسدها كسياط ملتهبة، لكنها لم تبال بالألم أو باي شيء آخر، وظلت تركض دون أن تلتفت خلفها، أو تفكر بمصيرها إذا لحق بها ذلك الشيء.

فجأة
لمحت أشياء تتحرك أمامها بين الأشجار..
ووصل إلى مسمعها زئير وحشي مخيف ..

توقفت مكانها وقد جمدها الرعب، ثم تلفتت وراءها لتجد أن الميت الحي قد أقترب منها كثيراً..
شعرت حينذاك بالهلع الشديد..
لقد وقعت داخل المصيدة..
مصيدة من الموتى الأحياء !!

***

وقفت مكانها لحظات وقد أصابها الرعب بالشلل.. لكنها حاولت السيطرة على جسدها، ومحاولة الركض في إتجاه آخر.. لكن الأشياء التي لمحتها تتحرك كانت قد أقتربت إلى حد كبير، وظهر بغتة كلب ضخم بلون الليل..ظهر متحفزاً ومزمجراً بصوت يثير الهلع في قلوب أعتى الرجال..
حدقت (نسمة) به بعينين جاحظتين من الرعب، وبدا وكأن جسدها قد أستنزف كل طاقته؛ فهوى أرضاً على الأرض الطينية..
سقط في قلب مصيدة الرعب ..

***

بين حالة من الوعي واللا وعي.. تناهى إلى مسامع (نسمة) صوت طلقات نارية، أعقبها أصوات صياح وضجيج، ثم شعرت بمن يقترب منها، وهو يهتف بجزع :

- نسمة .. هل أنتِ بخير؟ أجيبيني يا حبيبتي ؟!

ثم أظلمت الدنيا أمامها تماماً .

***

تسلل بعض الضوء إلى عقل (نسمة)، وشعرت بقطرات الماء تنساب إلى حلقها، وصوت زوجها يقول:
- أطمئني يا حبيبتي .. أنت بخير.

فتحت عينيها ببطء؛ لتجد زوجها يقف أمامها حاملاً كوب من الماء، ومن حوله يقف عدد من الرجال يرمقونها بأشفاق..

هبت فجأة من رقدتها، وهي تصيح:
- هل رأيتموه؟ هل رأيتم الميت الحي ؟!

تبادل الرجال النظرات مع زوجها، ثم ابتسم زوجها بحنان، وهو يقول :
- لا يوجد يا عزيزتي ميت حي .

أمسكت كفه برعب، وقالت:
- لقد كان هنا، وقام باقتحام الفيلا .

جلس زوجها جوارها، وربت على رأسها بحنان، ثم قال :
- أنه ليس بميت يا عزيزتي .. أنه حي فقط .

حدقت (نسمة) بوجهه غير مستوعبة ما يقول، فتساءلت متعجبة:
- ماذا تعني ؟! لست أفهم شيئاً .

تنحنح أحد الرجال، وقال بهدوء:
- أنه سجين يا سيدتي .. قاتل بمعنى أدق.. كان بسيارة الترحيلات لترحيله إلى القاهرة؛ ليتم محاكمته غداً.. لكن السيارة أختلت بيدي السائق بفعل الأمطار، وهوت متحطمة ليصاب كل من بها، ويهرب السجين إلى هنا ..

حدقت (نسمة) به غير مصدقة، وقالت:
- ولكن .. ماذا عن دائرة الضوء؟ لقد رأيت شعاع من الضوء يهبط من السماء .

عقد زوجها حاجبيه مفكراً، ثم سألها باهتمام :
- وأين رأيت ذلك الضوء ؟

أشارت بكفها إلى لا مكان، وقالت:
- هناك .. بالقرب من ساحة المقابر .

ابتسم أحد الرجال، وقال مفسراً :
- هذا مكان الحادث يا سيدتي .. يبدو أن مصابيح إضاءة السيارة توجهت نحو السماء عند إنقلابها .. لذلك ظننتي أن الضوء يهبط من أعلى ، وليس بصاعد من أسفل .

ثم هز برأسه بعدم فهم:
- لكني لا أفهم ما علاقة الضوء بما حدث .

أجابته (نسمة) وهي تنهض ببطء :
- لقد ظننت أن مخلوقات فضائية قامت باحتلال جثث المقبرة .

انطلق زوجها يقهقه بقوة، وهو يقول :
- هذا سبب إفراطكِ في مشاهدة أفلام الرعب .

لكزته الزوجة بكوعها، وهي تقول :
- بل أنت السبب يا عزيزي .. أنت وهراءك عن الموتى الأحياء .

صمتت برهة ثم قالت بمرح :
- من الأحمق الذي يصدق أن هناك موتى أحياء .

نظر نحوها الجميع، وقد أرتسمت على شفاههم ابتسامة جزلة، بينما كتم زوجها ضحكته وهو يقول :
- أعتقد لا يوجد غير شخص واحد فقط يا عزيزتي .

ثم لم يستطع أن يمسك ضحكته أكثر من هذا، وأنفجر يضحك بقوة .

***

ساد الظلام الدامس الفيلا ..

وفجأة..
انطلقت صرخة (نسمة) ترج أرجاء المكان..
استيقظ زوجها فزعاً، وأسرع يغادر الفراش، ويهبط درجات السلم بسرعة البرق، وهو يهتف بفزع :
- نسمة .. أين أنتِ ؟

جاءه صوت زوجته، هي تقول بلهجة متوترة:
أنا هنا يا عزيزي .

أضاء زوجها مصابيح الصالة، ثم اندفع نحوها يحتضنها بحنان، وسألها بقلق :
- ماذا حدث يا حبيبتي ؟

أشارت نحو شاشة التلفاز، وهي تقول :
- لقد أصابني هذا الفيلم بالرعب .

أغلق زوجها جهاز التلفاز، وهو يقول :
- ألم أقل لكِ كفي عن مشاهدة أفلام الزومبي هذه ؟

هزت رأسها نافية، وقالت :
- إنه ليس عن الموتى الأحياء يا عزيزي .

صمتت برهة ثم استطردت :
- إنه عن مصاصي الدماء.

نظر زوجها إليها بغيظ مكتوم، ولم ينبس ببنت شفة..

ثم صعد درجات السلم، وهو يلعن في سره كل أفلام الرعب، وكل الزوجات المذعورات .. الخائفات ..
كلهم .. بلا استثناء .

عويل الأشباح

أقبع داخل حجرتي، وقد أشعلت جميع الأنوار؛ لتبدد أي شبر من الظلام ..
وكنت أرتجف هلعاً..
أرتجف من ذلك العويل ..
عويل الأشباح ..

***

(أسوان) الساحرة..
حيث النيل المتلألىء تحت أضواء القمر البلوري، وأضواء المراكب البديعة التي تتهادى على سطحه ..
(أسوان) حيث عبق التاريخ، وأثار الفراعنة، وأصالة أهلها، ورائحة أمجادها ..

هبطت بخطوات بطيئة من القطار، وتمطيت كهرة كسولة من تأثير الرحلة الطويلة على عضلات جسدي .. وخرجت أبحث عن وسيلة تقلني إلى فندق (سلسبيلة) .. وجدت عربات كثيرة من نوعية (الكارتة)؛ فانتقيت منها واحدة، وذهبت إليها، وأنا أقول لسائقها النوبي العجوز:
- فندق (سلسبيلة) .

أشار لي السائق أن أركب .. وضعت حقيبتي الوحيدة، وجلست جوارها، وسرعان ما دوى صوت فرقعة كرباج في الهواء، ثم أعقبه صهيل الحصان،وبدأت العربة في التحرك ..

تأملت الطريق الترابي، وقد منحه الليل هدوء وجمال محببين إلى النفس، ولمحت على مبعدة – من بين الأشجار – شريان النيل الخالد يجري بنعومة ورقة ..

كنت مدعو – بصفتي الصحفية- لتغطية بعثة أثرية تنقب عن الأثار الفرعونية .. لابد أنكم لمحتم اسمي مرة على الأقل يتصدر مقالة عن الأثار المصرية .. لا .. هذا عجيب !! ظننت أنني معروفاً بعض الشيء .. أحم .. حسناً .. أنا أدعى (أسامة الزيني) صحفي بأحد الجرائد القومية، ولي صفحة كاملة أتكلم فيها عن أثار مصر المتنوعة .. تنقلت داخل القطر المصري كثيراً لعمل تحقيقات صحفية، التي كان هدفها الأساسي هو تعريف القراء بعظمة أمجاد أجدادنا القدماء .. ليس الأمر مقتصراً بالطبع على الأثار الفرعونية .. فهناك الأثار الإسلامية، واليونانية،و...و...ألخ .. وحتى الأثار القريبة العهد لنا؛ كبرج القاهرة، ومسجد الأزهر الشريف .. في الحقيقة كنت أشعر دائماً أنني أقوم بعمل قومي نبيل، وأرجو أن أكون على حق ..

كما قلت سابقاً " كنت مدعو لتغطية بعثة تنقب عن الأثار الفرعونية" .. لقد هاتفني صديقي (صلاح) المشرف على هذه البعثة، وزف لي نبأ قرب عثورهم على مقبرة فرعونية كاملة .. البعثة كلها من الأجانب .. لكن كما تعلمون لابد من أن تعمل تحت إشراف هيئة الأثار المصرية؛ حتى لا يتم تسريب بعض الأثار إلى الخارج .. وهذا كان تخصص صديقي، ومعه مساعد ما ! ومترجم أيضاً إذا أستدعت الحاجة إليه ..

توقفت العربة أمام الفندق الصغير الجميل الهيئة، وترجلت منها بعد أن نقدت السائق أجره، ثم حملت حقيبتي، وتوجهت إلى داخل الفندق .. لابد لي من بعض الراحة؛ فالغد سيحمل لي الكثير من العمل والجهد .

***

كانوا يحفرون قلب الجبل .. ضربة وراء ضربة، تتناثر الأتربة، وتتساقط الصخور.. كانوا خمسة من الرجال الأشداء يحفرون بهمة، وقوة، ونشاط .. وكان الحر قائظاً، والشمس ملتهبة ترسل نيرانها لتزيد من حرارة الأجساد، التي غمرها العرق الغزير ..
رفعت زجاجة بلاستيكية لأروي عطشي، لكن الماء الساخن زادني عطشاً، وزاد جوفي سخونة..

قلت بخمول من تأثير الحر:
- لم أكن أعلم أن الشمس حارقة هكذا في فصل الربيع !!

ربت صديقي (صلاح) على كتفي، وقال مواسياً :
- لا تنسى أننا قريبين من خط الأستواء، والشمس تكون حارقة للغاية، وللأسف لن نجد في هذه الأرض القاحلة أية قطعة ظليلة .. لكن أبشر يا صديقي .. لقد أقتربنا كثيراً من باب المقبرة .

ألتفت إليه، وأنا أخرج منديلاً كي أمسح به العرق الغزير الذي ملأ وجهي، ثم أشرت إلى عدد من الخيام، وقلت بإرهاق :
- ألا يمكن أن نستظل داخل هذه الخيام ؟

هز صديقي رأسه نافياً، وقال بلهجة العالم ببواطن الأمور :
- لا .. هذه الخيام تحبس حرارة الشمس داخلها .. ببساطة أكثر هي قد صارت الآن كالموقد المشتعل.. ولو مكثنا داخلها سيكون الوضع أسوء بكثير .

ثم أشار إلى الرجال الذين يحفرون الجبل، وقال :
-

- أنظر إلى هؤلاء الرجال كيف يتحملون قسوة الطبيعة، وحرارة الشمس الملتهبة .. تحمل قليلاً مثلهم، وصدقني لقد قارب الأمر على الإنتهاء .

تأملت قلب الجبل الذي لم يتأثر كثيراً بضرباتهم القوية، وقلت بلهجة ساخرة :
- يبدو أن هذا سيحدث بعد شهر من الآن .

خزلني أحد الرجال عندما صاح :
- لقد وجدنا البوابة.

أسرع صديقي يركض باتجاه البعثة، وتحدث معهم بكلمات سريعة؛ ليهرعوا جميعاً بعد ذلك في أتجاه البوابة المكتشفة .. أخرجت من حقيبتي الجلدية كاميراً صغيرة؛ لألتقط بها بعض الصور، وهرعت خلفهم بحماسة، وقد تناسيت حرارة الشمس.. وما أن وصلت إلى حيث يقفون حتى شعرت بعظمة الفراعنة .. لقد كان جزءاً صغيراً فقط يظهر من البوابة، لكن على هذا الجزء شاهدت النقوش والرسومات الفرعونية الملونة، والتي بدت وكأنها نقشت بالأمس فقط .. ألاف السنين مرت على هذه المقبرة، لكنها ظلت صامدة بأثارها ونقوشها

حتـى الآن .. كـم أشـعر بـالفخر كثيـراً؛ فهـؤلاء هـم أجـدادي العظماء ..
تحسس أحد رجال البعثة الأجانب النقوش بحنان مبالغ فيه، ثم أشار إلى الرجال أن يواصلوا الحفر.. بينما أخرج هو فرشاة متوسطة الحجم أخذ يزيل بها الأتربة من على الواجهة المكتشفة للبوابة..

واصـل الرجـال الحفـر بنـاء علـى توجيهـات (الخواجـة) كمـا ينعتونه، وشيئاً فشيئاً بدأت البوابة بالكامل في الظهور .. كانت كبيرة الحجم نسبياً، تبلغ حوالي أربعة أمتار طولاً، وثلاثة أمتار عرضاً ..

أشار (الخواجة) للرجال أن يتوقفوا عن العمل، ثم أشار لرجال بعثته لبدء عملهم، الذي كان إزالة الأتربة بعناية شديدة عن واجهة البوابة، والأستعداد لفتحها .. بينما أخذت أنا ألتقط صوراً للبوابة، ولرجال البعثة وهم يعملون..

اقترب (صلاح) مني، وربت على كتفي مشجعاً، وهو يقول :

- ها قد أكتشفنا البوابة يا صديقي .

واصلت التصوير بعناية واهتمام، وأنا أقول :
- وماذا بعد ؟

مسح العرق الغزير من على وجهه بمنديل ورقي صغير، ثم قال :
- سنفتح البوابة بالطبع، ونحصي الأثار .

تأملته متعجباً، وأنا أقول :
- ولماذا ستحصونها ؟!

ابتسم على الرغم منه، وقال:
- وكأن هذه المرة الأولى لك .

بادلته الابتسامة قائلاً :
- هي أول مرة فعلاً .. فلم أكن سابقاً مع بعثة أستكشاف .. كل تحقيقاتي عن أثار موجودة بالفعل .

هز رأسه متفهماً، وقال:

- سنحصي الأثار كي لا يتم سرقتها، وأيضاً إستعداداً لتسليمها إلى هيئة الأثار؛ ليتم نقلها إلى مخازنها إستعداداً لعرضها على الجمهور بالمتحف المصري.

سألته متعجباً، وأنا أشير إلى أفراد البعثة الأجنبية:
- وماذا عنهم ؟!

هز كتفيه بعدم فهم، وقال متسائلاً :

- وماذا عنهم؟!

ثم أدرك مغزى سؤالي؛ فأجاب:
- سيعودون إلى بلادهم بالتأكيد .. هل كنت تعتقد أننا سنمنحهم بعضاً من أثارنا ؟!
هززت رأسي، وقلت:
- كلا بالطبع .. لكن بماذا سيستفيدون بعد كل كدهم وتعبهم هذا ؟

عاد صديقي لمسح عرقه، وقال:
- سيقومون بإصدار كتاب على غرار "مغامرتنا الإستكشافية للأثار الفرعونية" .. هم لا يبحثون عن المال؛ بل يبحثون عن مجد تاريخي، كما فعل سابقاً (هاورد كارتر) العالم

الأثري الذي أكتشف مقبرة (توت عنخ آمون).. هذا هو كل ما يهمهم .

قلت له بلهجة متوترة:
- بمناسبة ذكر مقبرة (توت عنخ آمون) .. هل تعتقد أننا سنقابل لعنة ما ؟!

انطلق يضحك بقوة، وهو يقول :

- لا تقل لي أنك تعتقد في مثل هذه الخزعبلات .

طأطأت رأسي بحرج، وقلت مرتبكاً :
- أنا لم أقابل لعنة من قبل .. لكن الأحتياط واجب و.....

قاطعنا فجأة مساعد (صلاح)، وهو يقول :
- أفراد البعثة يقومون الآن بفتح البوابة .

هرع صديقي وأنا خلفه؛ لمتابعة هذا الحدث التاريخي .. أخرجت الكاميرا إستعداداً للتصوير.. بينما تقدم صديقي بين أفراد البعثة؛ ليمد لهم يد العون .. وبدأ الجميع يدا واحدة في فتح البوابة ..

بدأت البوابة تتزحزح من مكانها، وبدأت الأتربة بالتساقط.. وما أن انزاح جزءاً صغيراً من البوابة حتى تعالى صوت صفير مكتوم، أعقبه موجة ساخنة كريهة الرائحة ..

هتف صديقي معللاً :
- الهواء داخل المقبرة سجين منذ ألاف السنين؛ لذلك عند خروجه تعالى صوت الصفير هذا، مختلطاً بالموجة الساخنة .

هززت رأسي متفهماً، وواصلت ألتقاط الصور .. وجدير بالذكر أن أذكر لكم أن كاميرتي من النوع الرقمي الحديث، ولا تحدث فلاشاً .. لأنني علمت سابقاً أن فلاش الكاميراً يفسد شيئاً ما بالأثار!

أنفتحت البوابة بالكامل بعد جهد جهيد، ومن خلفها ظهر للعيان القطع الأثرية الموضوعة في أرجاء المقبرة، والتابوت الحجري المهيب.. لكن ما لفت نظري تحديداً كانت تلك المسلة، التي تقف منتصبة وسط المقبرة

تماماً، وبالقرب من البوابة .. كانت تحفة فنية بكل المقاييس بتلك النقوش المتناثرة على سطحها، وبطولها الفريد الذي لا يتجاوز الثلاثة أمتار إرتفاعاً ..

لفتت المسلة الحجرية أنظار رجال البعثة أيضاً، وتحسسها أحدهم، وهو يقول بلغته الأجنبية:
- لم أرى مطلقاً مسلة بهذا الجمال وبهذا الطول .. جميع المسلات ذات إرتفاع شاهق، والنقوش عليها ليست بهذه الوفرة.

كانت لغته أمريكية؛ لذلك فهمت ما يقوله بسهولة.. سألته بذات اللغة :

- هل عرفت من صاحب هذه المقبرة ؟

هز راسه نافياً، وأشار إلى النقوش العديدة التي تملأ الجدران، وقال:
- ليس قبل أن نقوم بفك هذه الرموز .. لكن على الأرجح هذه المقبرة ملكية.

ثم أشار بيده إلى الكنوز العديدة، وقال:
- الكهنة والشعب لايتم دفن كل هذه الكنوز معهم .

دلفت إلى داخل المقبرة أواصل التقاط الصور، ثم توجهت إلى صديقي قائلاً :
- والآن ماذا ؟

أجابني بنبرة مرهقة:
- سيقبع أحد الحراس أمامها لحراستها، وسنقوم بالجرد غداً صباحاً.

ثم أشار إلى السماء قائلاً:

- الليل قارب على المجيء، والمقبرة تحتاج إلى التهوية.. نقص الأكسجين قد يصيب من يمكث داخلها بالأغماء.

أومأت برأسي متفهماً، وقلت بارتياح :
- هذا أفضل كثيراً .. سأذهب لأنعم بحمام منعش، وببعض الراحة .

صافحته مودعاً، وذهبت في طريقي إلى الفندق مترجلاً؛ فلحسن حظي كان قريباً من هنا للغاية .

***

استيقظت في السابعة مساءً، وأنا أشعر بإرهاق شديد.. نهضت متكاسلاً وجوفي يئن من الجوع؛ فلم أكن قد تناولت غدائي بعد.. تثاءبت بقوة، ورفعت سماعة الهاتف لأطلب

طعاماً أسكن به جوعي، ثم نهضت مفكراً "ماذا أفعل طوال المساء؟"
فكما تعرفون أن عملي لن يبدأ قبل الصباح.. قررت بعد أن أنتهي من طعامي أن أخرج للتنزه قليلاً، وربما أجد مقهى ما أجلس عليه، أو أهاتف صديقي ليقضي معي بعض الوقت..

جاءني الطعام، وانتهيت منه سريعاً، ثم نهضت لأغير ملابسي استعداداً للخروج ..
انفتحت النافذة بغتة اثر موجة هواء شديدة.. كنت قد تناسيت أن الرياح الخماسينية بـ(أسوان) تكون أقوى في شدة هبوبها من تلك التي تهب على العاصمة.

فجأة تعالى ذلك الصوت الذي جعل جسدي يقشعر، ويرتعش خوفاً .. كان صوت عويل ما !!
عويل حاد ومرعب للغاية ..
عاووووووووووو
كان أشبه بعويل الذئاب عند شعورها باقتراب خطر ما، أو بنواح الكلاب الحزين، لكنه يختلف قليلاً .. كأنه عويل ذئاب مختلطاً بزئير أسود، وأنين فيلة .. كان صوتاً مرعباً بكل ما تحملة الكلمة من معنى ..
عاووووووووووووووووو

تعالى الصوت بدرجة أعلى بكثير، حتى أنه كاد أن يمزق طبلتي أذني .. نظرت بحذر من النافذة لألمح رجالاً تركض بلا وعي .. فدب بي الخوف بدرجة أعلى وأكبر ..
أغلقت النافذة كي أخفف من حدة الصوت، لكن الصوت كان له قدرة عجيبة على اختراق الجدران، والوصول إلى بنفس الدرجة من العلو ..
عاوووووووووووووووووووو

مع أرتفاع حدة الصوت، واستمراره بلا توقف؛ بدأت أشعر بتحطم أعصابي .. جلست على أرضية الحجرة، ووضعت كفاي على آذني كي أمنع عنهما هذا الصوت المريع.. لكن الصوت ظل مستمراً ومصراً على تحطيم أعصابي ..
تناهى إلى مسامعي صوت ضجيج قادم من أسفل، ثم أعقبه صوت صرخات عالية لأنثى تصيح:
- توقفوا بالله عليكم .. توقفوا.

وجدت جسدي رغماً عنه يرتجف .. ووجدت نبضات قلبي تتعالى بصوت مسموع .. لقد تملكنى نوعاً من الرعب الشديد لم أقابله قطاً في حياتي .. نهضت بصعوبة وأنا أجرجر قدمي، وضغطت على جميع أزرار إضاءة الحجرة؛ لتسبح بالكامل في ضوء ساطع ..

وقبعت بركن الحجرة وأنا أرتجف هلعاً ..
أرتجف من ذلك العويل ..
عويل الأشباح .

***

جلس (صلاح) مع رجال البعثة أمام الخيام، وأمامه كان موضوع براداً ممتلئاً بالماء فوق بعض الحطب المشتعل، وكانت المياه داخله تغلي، وتصدر صفيراً متقطعاً، وبخار الماء يندفع إلى عنان السماء كبركان ينفث اللهب، أو كالقطار القديم الذي كان يعمل بالفحم ..
عبث (صلاح) قليلاً بالنيران المشتعلة أسفل براد الماء، بواسطة عصا صغيرة، ثم أشار بذات العصا إلى أحد رجاله كي يصب الماء داخل الأقداح المعدة للشاي ..
كان عقله مشغولاً للغاية بتلك المقبرة، وكل خشيته أن يتم سرقة شيء منها من وراء ظهره.. لقد كان يحب عمله حقاً، لكن حبه الأكبر كان لوطنه

الحبيب، وأثاره العريقة.. لن ينسى مهما استطاع حادث سرقة المسلة المصرية قديماً .. تلك المسلة التي يضعها الأمريكان أمام (البيت الأبيض) بطريقة تستفزه كثيراً، ولن ينسى كذلك رأس (نفرتيتي) المسروقة التي تعرض بالخارج ..

أرتشف (صلاح) بضعة رشفات من الشاي، ثم تنهد وهو يشعر بالكثير من الراحة لأنتهاء الجانب الشاق من مهمته..

فجأة هبت تلك الرياح الباردة، ودوى صوت العويل المرعب..
تلفت حوله بفزع يتأمل رفاقه؛ ليجد أثار الرعب تنحت ملامحهم .. هب واقفاً والصوت مازال يدوي بشكل أكثر رعباً وقوة .. كان من المؤكد أن مصدر الصوت تلك المقبرة المكتشفة اليوم..

سد (صلاح) آذنيه بكفيه؛ لمنع ذلك الصوت الرهيب من الوصول إليهما، وألتفت ينظر تجاه المقبرة برعب شديد .. لقد لمح شيئاً مفزعاً يخرج من جوفها..
شيئاً يناهز المترين طولاً، ويرتدي الملابس الفرعونية الشهيرة، وكان وجهه مخيفاً للغاية.. كان الوجه مماثلاً لوجه (بن آوى)، ذلك الوجه المرسوم على النقوش الفرعونية قديماً .. تراجع (صلاح) بفزع شديد، وذلك الشيء يتقدم منه بخطوات بطيئة مخيفة..
الصوت ما زال يسري؛ ليثير حالة من الفزع والهلع بين أفراد البعثة والعمال .. هتف أحد العمال برعب شديد :
- أبعدوا هذه النداهة عني .

كان للرعب حضوراً طاغياً بحق هذه الليلة .. حضوراً مهيباً ومخيفاً .. ولم يكن أمام (صلاح) وبقية الرجال إلا الفرار منه بكل قواهم .
لذلك ركضوا بكل ما يملكون من قوة للفرار من بطشه.. ورعبه.

***

عاووووووووووووو

مازال الصوت مستمراً بلا انقطاع .. ومازلت قابعاً مكاني أرتجف من الرعب .. حاولت أن أفكر في طريقة للخلاص من هذا الصوت؛ لكن الصوت كان يشتت تفكيري، ويبدد تركيزي بدرجة مستفزة ..

لمحت بغتة تلك الأشياء التي تخرج من جدران الحجرة .. أشياء مفزعة مسربلة بالسواد، ولا يظهر من وجهها شيئاً، وكأنها تلتحف بالظلام ذاته ..
حلقت تلك الأشياء في فضاء الحجرة، ثم توقف أحدهم، وأقترب مني ببطء شديد ومخيف ..

وعند اقترابه لمحت وجهه .. كان وجه مريعاً ومخيفاً إلى أقصى درجة، وكأنه.....

حقاً لا أستطيع وصفه، ولا حتى النظر له لثانية واحدة .. لقد كان شنيعاً حقاً .. شنيعاً لدرجة أن قلبي توقف عن العمل من فرط الهلع، وعند توقفه تماوجت الحجرة أمامي، ثم أظلمت تماماً وأنا أهوي كتمثال من الصخر .

***

استعاد عقلي الوعي بغتة، وأنا اشعر بألم هائل يكاد يحطم ضلوعي..
وجدت عدة أعين تحدق بي إشفاقاً، ولمحت صديقي يربت على كتفي قائلاً بحنان:
- مبارك لنا عودتك يا صديقي .

نهضت ودوار خفيف يعتريني، ثم جلست على طرف الفراش، وأنا أقول بوهن :
- ماذا حدث؟

جلس صديقي بجواري، وأحاط كتفي بيده، وهو يقول :
- لقد أصابتك سكتة قلبية، وظللت فترة أحاول إنعاشك .

صمت برهة ثم أردف:
- لقد أصبتني بالخوف عليك .. حمدا لله على عودتك سالماً .

رفعت كفي إلى رأسي عندما تذكرت كل شيء، وهتفت برعب :
- العويل .. ذلك العويل الرهيب، وتلك الأشباح المفزعة .

ثم تلفت حولي بذعر، وأنا أكمل :

- هل أنتهى كل شيء ؟

أومأ صديقي برأسه، وهو يقول :
- نعم يا صديقي .. لقد توقف هذا الصوت تماماً .

سألته بلهفة:
- وهل عرفت مصدره ؟

أومأ براسه مرة آخرى، وهو يقول :
- نعم .. إنه صادر من عند المقبرة .

سألته مستفسراً :
- وما مصدره ؟ هل هي لعنة ما ؟

هز رأسه نافياً، وقال :

- لا أحد يعلم .. لقد كنا نقبع أمام خيامنا، عندما تعالى ذلك العويل فجأة؛ فشعرنا جميعاً بالرعب، وهرعنا ركضاً لنلوذ بالفندق .. الصوت كان رهيباً حقاً، وبدأت تلك الأشياء المرعبة بالظهور.. أنا رأيت رجل من الفراعنة برأس (بن آوى)، وآخر رأى (النداهة).. وللأسف لم يكن قلبك الوحيد الذي لم يحتمل .

صمت قليلاً، ثم قال بآسى :
- لقد لقي الحارس الموكل بحراسة المقبرة مصرعه، ولم ننجح للأسف في إسعافه .

سألته مرة آخرى:
- كان هناك صوت صراخ أنثوي، هل تعرف مصدره ؟

نهض ببطء، وهو يقول :
- إنها أحد نزيلات الفندق .. لقد أصيبت بانهيار عصبي .

ثم أخرج سيجارة، وأشعلها بأصابع مرتجفة، وهو يقول :
- في الحقيقة لقد كانت الليلة رهيبة للغاية .. من أكثر الليالي المفزعة التي مرت علي .

توجه إلى باب الحجرة، وقال وهو يشير إلى :

- حاول أن تستريح بقدر الإمكان؛ فالغد سيكون شاقاً للغاية، ولابد لنا من محاولة فهم كنه هذا الصوت، وحقيقة تلك الأشياء .

ثم غادر الحجرة يتبعه رجاله.. بينما جلست أفكر بحيرة شديدة ممزوجة بالرعب والقلق :
- ماذا لو حدث هذا مجدداً قبل بزوغ شمس الصباح ؟! ماذا أفعل حينذاك ؟

***

كانت الساعة تقترب من الواحدة صباحاً، وقد جفاني النوم.. من يستطيع النوم في وسط كل هذه الأحداث المخيفة والمفزعة ؟!

تجولت داخل حجرتي ذهاباً وإياباً، وعقلي يكاد يشتعل من كثرة التفكير .. أخرجت سيجارة وأشعلتها، ثم زفرت دخانها ليخرج كتلة متماسكة سرعان ما بعثرها الهواء، وبددها إلى غياهب المجهول ..
توجهت نحو النافذة أتأمل الكون وأواصل تفكيري .. نسمات الهواء أصبحت هادئة ورقيقة للغاية، تنعش الروح وترطب الذات .. لكن الجمال

ليس دائماً للأسف؛ فسرعان ما هبت موجة هواء شديدة لطمت وجهي بقوة ..
وفجأة..

عاوووووووووووو
تعالى ذلك العويل مرة آخرى بشكل مفاجيء.. أرتعشت خوفاً، لكني حاولت التغلب على هذا الخوف بأية طريقة ..

عاوووووووووو
ذلك العويل مرعباً حقاً .. لقد بدأ الرعب يغزو قلبي وجسدي .. تلفت حولي بهلع بحثاً عن تلك الأشباح .. لو رأيتها مرة آخرى سأقضي نحبي للأبد هذه المرة ..
الرياح الشديدة تضرب النافذة، وتحركها بضجيج أزعجني .. الصوت مازال يتردد ويعلو .. سددت آذني بكفي، وجلست على أرضية الحجرة؛ أحاول التفكير في طريقة للخلاص، لكن الصوت كان يشتت تفكيري من شدته واستمراره المفزع ..

انطفأت فجأة أنوار الحجرة لتسبح في ظلام مهيب مرعب، وتملكني الخوف بشكل أكبر بكثير.. وما زاد الأمر سوءاً هو ظهور تلك الأشباح .. كانت تندفع ببطء مهيب ومخيف عبر فتحة النافذة متجهة نحوي .

أغلقت عيناي بقوة كي لا أراها، وتساءلت برعب " هل ستكتفي بالتجول في فضاء الحجرة؟ أم ستنهش جسدي؟! "

ضغطت بكل قواي على آذني حتى أمنع ذلك الصوت من الوصول إليهما .. خفت الصوت بالفعل، وجعلني أستطيع التفكير لبضعة ثوان .. ماذا لو استطعت كتم الصوت بشكل نهائي ؟

هل سيبدد هذا الرعب الذي تملكني ؟ وماذا عن الأشباح الجائلة هذه ؟!

زحفت على بطني وأنا مازلت مغلق العينين .. كنت أريد البحث عما أسد به آذني .. أعتقد قطعة من القطن ستفيد كثيراً .. تنبهت فجأة للسيجارة التي كنت قد أشعلتها .. وجاءتني الفكرة بشكل مفاجيء.. نعم كما توقعتم .. سأستعمل (فلتر) السجائر لسد آذاني .. تحسست جيب قميصي بكفي الأيمن، وتسبب هذا للأسف باختراق الصوت أذني اليمنى بشكل عنيف..
الصوت يحطم أعصابي تحطيماً، ويرج جسدي من الرعب.. أتحسس جيبي بشكل محموم، وأخرج علبة سجائري.. لابد لي من فتح عيني حتى أستطيع تنفيذ فكرتي .. فتحت عيناي ببطء شديد؛ لأفاجيء بهذا الوجه المريع يحدق بي بقسوة شديدة..

تعالت دقات قلبي بسرعة كالمكوك، وشعرت به وكأنه يريد القفز من حلقي .. أغلقت عيناي مرة آخرى، وأخذت أتلو بعض الآيات القرآنية.. بيد مرتجفة حاولت إخراج سيجارة من العلبة، لكن إرتجافتي جعلتها تسقط أرضاً .. تلمست أطراف العلبة بأناملي لأخرج سيجارة آخرى، وقبضت عليها بقسوة..
عاوووووووووو

الصوت يخترق كياني أكثر لكني مصمم على الصمود .. نزعت (الفلتر) بحنكة، ودسسته بقوة داخل آذني اليمني .. كانت قوة لا داعي لها لأن طبلة آذني كادت أن تنفجر.. تلمست علبة سجائري مرة آخرى لأخرج سيجارة ثانية .. لكن أناملي تحسست الفراغ .. لقد صارت العلبة خاوية .

عاوووووووووو

مازال الصوت يتردد مثيراً الفزع، ومازلت راقداً على أرضية الحجرة مغلق العينين .. تذكرت أن سيجارة قد سقطت مني على أرضية الحجرة .. هذا جيد .. لكني سأضطر إلى فتح عيني كي أجدها .. ولوفعلت

ستهاجمني هذه الأشباح حتماً .. لكن مهلاً .. لو كانت تريد إيذائي لفعلت .. ما الفرق عندها بين إغلاقي عيناي أو فتحهما ؟!

فتحت عيناي بشجاعة أحسد عليها، ورأيتهم أمامي يقفون صفاً، وأمامهم يقف – على ما أعتقد- زعيمهم .. طأطأت رأسي، ومسحت بعيني أرض الحجرة بحثاً عن تلك اللعينة، ولحسن حظي وجدتها سريعاً .. ألتقطها بسرعة خاطفة، وكالبرق نزعت (الفلتر)، ثم دسسته داخل آذني اليسرى.. الصوت خفت كثيراً .. كثيراً للغاية لكني ما زلت أسمعه ضعيفاً واهناً ..

ألتفت زعيم الأشباح إلى رفاقه، وأشار إليهم إشارة ما!! حلقوا على أثرها عالياً، ثم أنقضوا على كالصواريخ الموجهة .. ألتصقت بالجدار هلعاً، وأنا أترقب بخوف هجومهم على .. لكنهم تلاشوا فجأة بطريقة عجيبة !!

تحسست جسدي كي أتأكد من سلامته، وأخذت أفكر بعمق شديد .. لقد تنبهت فجأة مع صفاء ذهني بشيء ما! شيء غائب داخل تلافيف عقلي، لكنه يحمل لي حل هذا الرعب والعويل.. حاولت التركيز بقوة، وأنا أتساءل "ما الشيء الذي

لفت إنتباهي بهذا الشكل ؟" إنه بالتأكيد شيء حدث في المرتين، لكن ما هو؟
العويل .. ظهور الأشباح.. توقف قلبي عن العمل .. لا شيء من هذا .. ربما .. نعم هذا هو .. إنه الهواء.. يا لك من أحمق حقاً يا أسامة.

***

بحثت بين أشيائي كالمحموم عن مصباحي اليدوي، ولحسن حظي وجدته .. أضأته سريعاً، وأندفعت مغادراً حجرتي كالعاصفة ..

تناهى إلى مسامعي صوت صراخ أنثوي خافت للغاية – بسبب الفلتر الذي يسد آذني- فعرجت على الغرفة الصادر منها هذا الصوت، واقتحمتها بشكل مفاجيء؛ لأجد تلك الفتاة راقدة على الفراش، وتبعد عن وجهها شيئاً خفياً ما يهاجمها !! والصرخات تنطلق من حلقها بلا انقطاع ..
نبشت أشيائها دون أية مراعاة للزوق أو الأدب، ووجدت - كما توقعت- جهاز من نوعية (MP3) فقمت بتشغيله بسرعة على أعلى درجة صوت، ودسست سماعتيه على آذنيها..
كانت الفتاة تشعر بالرعب الشديد؛ لذلك أخذت تخمشني بأظافرها دفاعاً عن نفسها.. لكني تحملت وظللت ممسكاً

سماعتي الجهاز على آذنيها، حتى شعرت أنها بدأت تستوعب الموقف وتهدأ.. ثم برفق أمسكت كفها لأساعدها على النهوض للخروج من الغرفة ..

خرجت إلى الممر وأنا أجذبها خلفي، وهبطت درجات السلم سريعاً متجهاً إلى بهو الفندق، ثم أشرت لها بكفي أن تجلس هنا حتى أعود، لكنها تشبثت بي كهرة تحتمي بامها..
شعرت بالشفقة تجاهها فأمسكت كفها، وأشرت لها أن تتبعني ..
واصلت طريقي تجاه باب الفندق، وبينما أنا ماراً بحجرة الأستقبال، شاهدت العامل منكفئاً على وجهه، ويتلوى كالثعبان .. لم يكن أمامي متسعاً من الوقت كي أساعده؛ لذلك واصلت طريقي ..
خرجت من باب الفندق لأجد صديقي والعمل يركضون بفزع تجاه الفندق ..
أشرت للفتاة أن تظل هنا معهم، ثم واصلت طريقي ركضاً .. شققت طريقي وسط الظلام، وأنا أقطعه بشعاع مصباحي، وتوقفت عن الركض كي لا أصطدم بصخرة ويدق عنقي ..
كنت متوجهاً ناحية المقبرة، وأنا أرجو أن يكون إستنتاجي صحيحاً.. أقتربت من باب المقبرة؛ لأجد شيئاً عجيباً قلما أن يجود الزمن بمثله !!
لقد رأيت الصوت !!

لا خطأ في العبارة على الإطلاق .. لقد رأيت الصوت فعلياً .. كان يتماوج أمامي كالسراب في الصحراء، أو كالهواء الذي نراه يعلو فوق النيران .. أو بشكل أكثر دقة كان كالماء الصافي الذي يسيل على واجهة لوح زجاجي ..
رأيته مندفعاً من خارج المقبرة، ويتماوج في الفضاء الأثير .. تقدمت بحذر وأنا مبهور الأنفاس، ودلفت داخل المقبرة لأشعر بملمسه، وهو يصطدم بجسدي؛ ليرجه ويرج روحي معه !! لكني تحاملت بشدة وواصلت التقدم؛ فأمامي عمل لابد من إتمامه .

***

رقد صديقي (صلاح) على أرض البهو يرتجف هلعاً .. ومن حوله رقد رجاله بعضهم يصرخ، وبعضهم يتلوى .. بينما كانت الفتاة واقفة كقطة مذعورة، لا تعرف ماذا تفعل ؟

توقف الصوت فجأة ليسود هدوءاً هائلاً مريحاً للغاية.. وتوقفت كذلك الصرخات والإرتجافات دفعة واحدة ..
نهض (صلاح) وهو يزفر براحة شديدة، ثم بدأ يتفقد رجاله؛ ليفاجيء بكل أسى بوفاة اثنين منهما .. فجلس مرة آخرى وهو يشعر بالحزن الشديد ..

دلفت من باب الفندق، وأنا أقول بحماسة :
- لقد أنتهى كل شيء، وإلى الأبد .

نظر لي صديقي مندهشاً، وسألني بفضول :
- هل تعني حقاً ما تقول ؟!

أومأت برأسي، وذهبت إليه قائلاً :
- بالتأكيد يا صديقي .

سألني صديقي مستفسراً :-

- وكيف فعلتها بالله عليك ؟

جلست جواره وأنا أتحسس جيبي بحثاً عن سيجارة، لكنني لم أجد بالطبع لأنني قمت بأستعمال أخرها.. فنظرت نحو صديقي، وقمت بالإشارة بما معناه أن يمنحي أحد سجائره.. فمنحني واحدة، وأشعلها لي وهو يقول :
- تفضل يا صديقي .. أخبرني الآن كيف فعلتها ؟

أخذت نفساً عميقاً، ثم قلت بلهجة من يحللن الجرائم في الروايات البوليسية :
- لقد تنبهت إلى شيئين .. أولهما : أن الهواء كان شديداً في كلا المرتين اللتين يعلوا فيهما صوت العويل .

قاطعني صديقي قائلاً :
- وماذا في هذا ؟! الهواء يحمل الأصوات بالتأكيد .

أجبته قائلاً :
- أعرف هذا بالتأكيد .. لكن تذكر معي أن الصوت لم يتواجد نهائياً إلا مع إشتداد الهواء،وتوقف تماماً عند هدوءه .. لم يهدأ أو يخفت .. بل توقف بشكل قاطع ونهائي .

ثم واصلت تفسيري، قلت :
- الشي الثاني الذي لفت إنتباهي هو تلك المسلة .. لم أقابل في حياتي مسلة قصيرة الطول بهذه الطريقة من قبل .. ربما هذا الشي لم يكن له أي معنى لو لم يحدث هذا العويل .. لكنني وبالصدفة ربطت بين الحدثين .

رفع صديقي حاجبيه بذهول شديد، وقال :

- هل تعني أن المسلة هي السبب ؟
أومأت برأسي قائلاً :
- نعم يا صديقي .. المسلة هي مصدر ذلك العويل .. عندما شككت بالأمر وذهبت الآن، وجدت عدة تجاويف بنقوش المسلة .. عندما يشتد الهواء ينفذ داخل هذه التجاويف

فيحدث هذا الصوت المريع، ويساعد فراغ المقبرة الداخلي بتضخيمه .

رمقتني الفتاة بانبهار شديد، ثم سألتني بفضول وهي تحرك رأسها بطريقة لذيذة :
- وماذا عما شاهدته داخل حجرتي ؟ لقد شاهدت أفعى شرسة هائلة الحجم، كادت أن تبتلعني .

نظرت لها وشيء من الإعجاب بها يملأ كياني :
- أعتقد أن الفراعنة كانوا قد بلغوا قمة العبقرية إلى درجة مذهلة .. كلنا نعلم أثارهم التي كلما رأيناها تزيدنا إنبهاراً بهم، وتجعلنا نتعجب كيف صنعوا كل هذا ؟! الأهرامات، والمعابد، والمسلات .. لذلك لا أستبعد أنهم توصلوا إلى ذبذبة معينة من الصوت تسبب الهلوسة البصرية.. هلوسة تعمل على ظهور ما يرعبنا داخل أعماق العقل الباطن .. تذكرين بالطبع كيف كان الصوت يهز جسدنا رعباً ؟

صفقت وهي تصيح بجزل :
- نعم أنت على حق تماماً .. لقد تلاشى ذلك الثعبان فور أن تلاشى الصوت، عندما وضعت سماعتي جهاز (MP3) على آذني .

ربت صديقي على كتفي، وهو يقول بإعجاب :

- أنت عبقري حقاً يا صديقي .. لقد شاهدت أنا رجلاً فرعونياً برأس (بن آوى)، في حين شاهد عامل آخر (النداهة) .. وهذا يدل فعلاً أن الصوت يؤثر على مخاوفنا، ويستدعيها لتطفو على سطح واقعنا .

ثم سألني باهتمام :
- ولكن كيف قمت بمنع الصوت ؟

ابتسمت وأنا أقول :
- وهل هذا يحتاج إلى سؤال ؟ لقد قمت بتحطيم المسلة بالطبع .

قفز صديقي كالملسوع، وهو يهتف صائحاً :
- قمت بماذا ؟

انطلقت أضحك بقوة، وأنا أقول :
- لا تفزع كهذا يا صديقي .. أنني أمزح معك .. لقد سددت الفجوات بقطع من الحجارة .

تنفس صديقي الصعداء، وقال بارتياح :

- حسناً فعلت يا صديقي .. حسناً فعلت .

ثم تمطى قليلاً، وهو يقول :
- أعتقد بعد هذه الليلة المرعبة يجب أن نرتاح كثيراً .. لكن للأسف لا وقت للراحة .

قالها وهو ينظر بحزن شديد إلى الرجلين الذين فقدوا حياتهم أثر ذلك العويل .
عويل الأشباح .

***

انتهيت من مهمتي الصحفية بعد يومين من تلك الليلة .. وقمت بمصافحة الجميع بحرارة شديدة، ثم ذهبت في طريقي للمغادرة تجاه محطة القطار ..

دلفت إلى داخل المحطة لأجد (راندا) تقف بانتظاري كما أتفقنا سابقا.. كانت في طريقها إلى القاهرة؛ لأن أمها متوعكة قليلاً و.....
تتساءلون عمن تكون (راندا) هذه ؟!
(راندا) هي الفتاة التي كانت بالفندق .. لم تكونوا تعرفون اسمها .. هذا غريب !! وما شأنكم أنتم بهذا ؟!

هذا شأن خاص بي .. لذلك لا داعي لدس أنوفكم في كل شيء..
أنا أمزح معكم بالطبع .. ستعرفون كل شيء في حينه ..
ربما في القصة القادمة ..
سأقول لكم الآن فقط أننا ركبنا القطار معاً ، ونحن نتبادل نظرات الأعجاب ..
القطار يطلق صافرته أستعداداً للمغادرة ..
أستودعكم الله الآن يا أصدقائي .

ملكة شيبا..

مقدمة

هي قصة حزينة للغاية.. عن ملكة شيبا.

عن حقيقتها أو من أين أتت أو عن مملكتها ؟ أسئلة لا نملك إجابة عنها.

كل ما نعلمه أنها ملكة شيبا.

من قلب الظلام أتت أو من قلب الجحيم.

من باطن الأرض أو من سماءها أو من أعماق البحار.

كل ما نعلمه أنها ملكة شيبا.

ربما تشعر بها داخل حجرتك، وربما تراقبك في الظلام . ربما تدخل كوابيسك.

إنها ملكة شيبا.

-١-

- غير معقول !

هتف (خالد) بهذه العبارة، وهو ينظر من شرفة الفيلا إلى الفيلا المقابلة.

كانت شقيقته (أسماء) ذات العشرة سنوات جالسة على أرض الغرفة، تلهو بدميتها؛ لكن عبارة شقيقها جذبت فضولها، فقالت:
- ما هذا الغير معقول؟

أجابها (خالد) دون أن يلتفت لها، وقال:
- لا شأن لكِ بما أقول.

شعرت (أسماء) بفضول أكثر؛ فنهضت متسللة من خلف ظهر شقيقها، وأخذت تبحث بعينيها عما يتأمله، وما أن شاهدت فتاة حسناء تجلس في شرفة الفيلا المقابلة وهي تتصفح كتاب، حتى هتفت صائحة:
- هل تغازل الجيران ؟ سأقول لأمي .

هجم (خالد) عليها، وكمم فمها بكفه، وهو يقول:
- أصمتي أيتها الحمقاء.

أنشبت (أسماء) أسنانها في كفه؛ فأطلق آه ألم، بينما هي أخذت تركض داخل الغرفة، وتقول صائحة:
- أمي .. خالد يغازل الجيران .

ركض شقيقها خلفها، وأمسك بها، ثم جذبها وهو يقول:

- أنتِ تستحقين هذا.

وأعقب قوله فعله، وقام بوضعها داخل خزانة الملابس، ثم أغلق عليها الباب.

أخذت شقيقته تصيح، وهي تضرب الباب من الداخل:
- افتح الباب يا خالد .. إنني خائفة هنا.. افتح الباب أرجوك وسأصمت.

ابتسم (خالد) ولم يجابوها؛ فأخذت تطرق الباب بهيستريا، وهي تصيح:
- افتح الباب أرجوك.. إنني أخاف الظلام.. خالد .. لا.. لا.. لا ..لا.

شعر شقيقها بالتوجس؛ ففتح الباب ببطء.. وما أن شاهد شقيقته مغشياً عليها، حتى شعر بالذعر الشديد؛ فحملها إلى الخارج، ووضعها على أرضية الحجرة، ثم أخذ يربت على وجنتيها، وهو يقول:

- أسماء.. ماذا بكِ؟ استيقظي أرجوكِ.

لكن الفتاة كانت ممددة كجثة بلا روح.. شعر شقيقها بقلقل أكبر، وأخذ يهزها برفق، وهو يقول:
- أسماء.. أرجوكِ استيقظي ولن أفعل هذا مرة آخرى.

كادت الدموع تنهمر من عينيه عندما لم يتلقى أية إجابة، ولم يدري ماذا يفعل؟

فجأة.

دفعته شقيقته بكفها؛ ليسقط أرضاً، ونهضت تركض إلى الخارج، وهي تقول ضاحكة:
- بالتأكيد لن تفعلها مرة آخرى عندما أخبر أمي .

ركض شقيقها خلفها، محاولاً إمساكها؛ لكنها كانت قد وصلت إلى حجرة والديها.. نظر لها شقيقها متوسلاً؛ فابتسمت على الرغم منها، وعادت إليه مرة آخرى، وقامت بلكزه بأصبعها، وهي تقول:
- أنت مدين لي هذه المرة.. لا تنسى هذا.

ربت (خالد) على رأسها، وقال:
- بالطبع يا عزيزتي .. اشكركِ على كرمكِ البالغ .

*****

كان (خالد) عائداً من الجامعة، ومتجهاً إلى منزله، عندما لمح جارته الحسناء تسير داخل حديقة فيلاتها.

شعر بنبضات قلبه تتسارع؛ فهو خجول بطبعه، ويتلعثم عند محادثة أي فتاة.. لذلك أخذ ينظر إليها وقد تسمر مكانه كتمثال قد من صخر.

تنبهت الفتاة إليه، وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة، وهي تتقدم إليه قائلة:
- مرحباً .

حدق (خالد) بها بأنفاس مبهورة. لقد كانت صارخة الجمال بحق. كان شعرها الذهبي يتحرك في نعومة بفعل الهواء، ويضيف إلى وجهها

الشاهق البياض جمالاً آخاذاً. لكن عينيها هي فقط ما جعلته يشهق بلا وعي :

- عيناكِ!

ابتسمت الفتاة، وهي تقول:

- أعلم أن لونها غير مألوف، وأنا سعيدة بهذا.

تأمل (خالد) عينيها الذهبية كالمسحور، ثم قال:

- في الحقيقة لم أرى عينان بهذا الجمال.

ثم تنحنح بخجل، وقال:

- أنا خالد .. جاركِ.

- وأنا رانا.

- كيف حالكِ يا رانا؟ هل انتقلتي هنا أمس؟ أنا لم أرى أحد بهذه الفيلا سابقاً.

- نعم انتقلنا أمس أنا ووالدتي .. أبي يعمل بالخليج.

لمح (خالد) كتاب صغير تحمله في يدها؛ فقال:

- هل تحبين القراءة؟

لوحت (رنا) بالكتاب، وهي تقول:

- تقصد بسبب هذا؟ ليس دائماً.. لكن هذا الكتاب جذبني بشكل كبير.

- وعما يتحدث؟

- هي أسطورة عن ملكة لمملكة تدعى شيبا.. أسطورة حزينة للغاية.

- ولماذا هي حزينة؟

- الأسطورة تتحدث عن ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة؛ لكن أصابع الأتهام بدأت تشير إليها؛ لعثورهم على جثث قتلى من رجال كانت تعرفهم، وتم محاكمتها بنفيها إلى الأبد.

- تم نفيها إلى أين؟

- لا أحد يعرف بالتحديد.. ربما إلى مملكة الظلام، أو إلى الجحيم، أو إلى باطن الأرض .. كانت هذه الأماكن المقترحة لنفيها؛ لكن باقي صفحات الكتاب مفقودة للأسف.

تناول (خالد) الكتاب من بين يديها، وأخذ يقلب في صفحاته، قائلاً:
- هذا عجيب! الصفحات مكتوبة بخط اليد، والورق ذاته يشبه ورق البردي.. لكن اللغة عربية.. شيء غريب جداً ! من أين حصلتي على هذا الكتاب.

- عند انتقالنا من منزلنا القديم، وجدته ملقى داخل صندوق من العاج .

تأمل (خالد) الكلمات العجيبة المبهمة المعنى، وقال:
- ماذا تعني هذه الكلمات؟

- لا أعلم.. لكني أعتقد أنها تعويذة نفي الملكة.. لقد قرأتها أمس، ولم يحدث شيئاً.
- ألم تخافين؟

- ومم أخاف؟ هذه مجرد أسطورة قديمة.

لمح (خالد) فتاة عجيبة الهيئة تقف على مقربة منهم.. اشارت (رنا) لها، وقالت:
- هذه صديقتي (سما) . كانت تعيش في أمريكا، وجاءت منذ شهر واحد.

تأمل (خالد) ملابسها السوداء التي كانت تشبه ملابس الساحرات، ووجهها الذي تناثر عليه مكياج بألوان عجيبة، وشفتيها التي طلتهم بلون بني كئيب، ثم قال:
- مرحباً يا سما .

رمقته (سما) بنظرة ليس لها معنى، ثم دلفت إلى داخل الفيلا.

قالت (رنا) بلهجة مرحة:
- نسيت أن أقول لك أنها بطيئة التأقلم مع الغرباء .

نظر (خالد) إلى ساعته، وقال:
- لا يهم؛ فأنا في بعض الأحيان بطيء التأقلم أيضاً.. سأذهب الآن للغداء.. أراكِ مساءً إن شاء الله .

ثم مضى في طريقه، وعقله مشغول بأسطور الملكة العجيبة هذه !!
ملكة شيبا .

*****

أنهمك (خالد) في التجول عبر شبكة (الأنترنت)، حين فاجأه صوت شقيقته، وهي تقول :
- صديقك (عماد) ينتظرك بالأسفل.

نهض (خالد) وتوجه إلى باب الحجرة، وهو يقول :
- شكراً يا عزيزتي سأهبط له حالاً.

استوقفته شقيقته بكفها، وهي تقول بلهجة ذات مغزى:
- لقد رأيتك اليوم تقف مع جارتنا الحسناء.. لا تقابلها مرة آخرى.

- وما شأنكِ أنتِ ؟!

- هذه الفتاة تخيفني يا خالد.. لقد رأيت عينيها تبرق في الظلام.. ولا تنسى أيضاً أنك مدين لي .

- مدين لكِ بالهراء.. غير ذلك هي لون عينيها غير مألوف .

ثم تركها وانصرف لمقابلة صديقه، بينما هي أخذت ترمق الفراغ..
وترتجف.

*****

جلس (خالد) مع صديقه، وأخذ يثرثر عن جارته الحسناء قائلاً:
- لو رأيتها ستفقد صوابك من فرط جمالها.. لم أرى في حياتي مثل هذا الجمال من قبل، ولا حتى في الأفلام الأمريكية.

ابتسم صديقه، وهو يقول:
- تقول : "أن لها صديقة كانت تعيش في أمريكا ؟"

- هذا صحيح .. لكنها غريبة الهيئة .

- هذا بديهي يا صديقي؛ فالحياة في أمريكا تختلف عن هنا.. ما يهمني الآن هل ستعود إلى (أمريكا) مرة آخرى ؟

- لا أعرف.. لماذا تسأل ؟

- ظننتك أذكى من هذا .. بالتأكيد لأحصل على فرصة العمر للعيش بأمريكا .

- وكيف هذا؟

- سؤال ساذج آخر .. سأجعلها تقع في غرامي بالطبع .. ثم نتزوج، وبهذا أحصل على الجنسية .

- يبدو أنك أنت الساذج يا صديقي .. الفتاة مصرية وتحيا بالخارج.

انطلق صديقه يضحك بقوة، وهو يقول:

- وكيف تظنها تحيا بأمريكا ؟! بالتأكيد هي تحمل الجنسية يا صديقي .

نهض (خالد)، وهو يقول بلا اكتراث:

- أفعل ما يحلو لك.. لكن الآن حان وقت المذاكرة .. هل ستأتي معي .

نهض صديقه بدوره، وهز رأسه نافياً، وقال:

- لا .. سأذهب للفيلا المقابلة ربما يسعدني الحظ، وأقابل هذه الفتاة ..

ثم أنصرف تاركاً صديقه يغمغم لنفسه قالاً : " ومن يرغب في العيش بأمريكا ؟!"

*****

تململ (خالد) في فراشه، من جراء سماعه لبعض الضوضاء؛ فهتف قائلاً:

أمي أرجوكِ اخفضي صوت (التلفاز) .

شعر بعد ذلك بيد تهزه برفق كي توقظه. فتح عينيه بكسل شديد؛ فرأى وجه والدته، وهي ترمقه بنظرة مشفقة.. نهض من على فراشه، وهو يقول:
- ماذا هناك يا أمي ؟ وما سبب تلك الضوضاء ؟

ربتت أمه على رأسه، وقالت بأسى:
- صديقك عماد .

نظر لها (خالد) غير فاهم؛ فسألها مرة آخرى :

- ماذا به ؟

أطرقت أمه رأسها، وهي تقول بحزن عميق:
- لقد عثروا عليه قتيلاً في الطريق الذي يقع بيننا وبين الفيلا المقابلة.. عثروا على جثته وقد انتزع منها القلب بطريقة بالغة الوحشية !!

*****

" هي ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة؛ لكن أصابع الأتهام بدأت تشير إليها؛ لعثورهم على جثث قتلى من رجال كانت تعرفهم"

*****

" هي أسطورة حزينة جداً.. عن ملكة شيبا "

*****

-٢-

جلس (خالد) بردهة الفيلا. دامع العينين، وسؤال واحد يدور بعقله: " من فعل بصديقه هذا؟ ولماذا "

تنبه فجأة على صوت الضابط، وهو يقول بلهجة هادئة :
- هل تسمح لي ببعض الأسئلة ؟

نظر له (خالد) نظرة حزينة، ثم قال بخفوت :
- كما ترغب .

- منذ متى تعرف القتيل ؟
- منذ الطفولة تقريبا .
- هل له أعداء ؟
- كلا بالطبع .. عماد محبوب من الجميع .

- اعذرني إذا قلت لك : أن طريقة قتله لا تدل على هذا .. القاتل أنتزع قلبه من بين ضلوعه بمنتهى الوحشية .

- هذا لا يعني أن له أعداء .. هذا يعني أن هناك قاتل مهووس يجول في الخارج؛ ليقتنص ضحاياه.

- هو كان عندك بالأمس .. عندما أنصرف ألم يقل إليك أين سيذهب ؟
- لا أعتقد أن هذا مهم؛ فقد تم قتله بالخارج .
- أنا أعلم هذا بالطبع .. لكنني أقصد هل كان سيقابل أحد يقطن بالقرب منك ؟

تذكر (خالد) فجأة حديثه عن الفتاة الغريبة الأطوار (سما) وعن حلم سفره (أمريكا) .. ومضت الحقيقة بغتة أمام عقله .. لقد عرف الآن من القاتل ؟

تأمله الضابط بتفحص، ثم قال:
- مازالت أنتظر جوابك.

- لا .. لم يقل لي شيئاً .

نهض الضابط ، وهو يقول:
- حسناً .. سأكتفي بهذه الأسئلة .. لكنك لو تذكرت أي شيء مهما كان أبلغني به فوراً .

- بالتأكيد يا سيدي .

أنصرف الضابط بهدوء.. بينما ظل (خالد) جالساً يفكر بعمق شديد، ثم تنبه فجأة على صوت شقيقته، وهي تقول :
- ألم أقل لك " لا تقابلها مرة آخرى "

نظر (خالد) إليها بعدم فهم، ثم قال:
- ماذا تقصدين ؟

ضاقت عينيها، وهي تقول بحذر شديد :
- أقصد جارتنا الحسناء بالطبع .. بالتأكيد هي القاتلة .. لقد شعرت بالفزع تجاهها وحذرتك.. لكنك لم تستمع إلي ..

*****

انسابت المياه على جسد (خالد) داخل الحمام؛ لكنها أبداً لم تطفيء نيران الغضب والحيرة لما حدث لصديقه.. كان عقله يعمل بسرعة البرق، عله يجد إجابات لما حدث ..

تنبه فجأة على صوت مبهم غامض مجهول المصدر.. أنصت (خالد) باهتمام متحفز، وشعر كأن هناك أقدام متلصصة تجول بالقرب منه؛ لكنه لم يعرف إذا كانت قادمة من خارج الفيلا أم من الداخل..

ارتدى ملابسه على عجل، وغادر الحمام بشكل مفاجيء؛ لكنه لم يجد أي شخص.. ذهب تجاه النافذة ونظر عبرها إلى الطريق؛ فشاهد جارته (رنا) تسير ببطء بالقرب من حديقة فيلته..

انطلق بسرعة يهبط درجات السلم، ثم غادر الفيلا تجاه (رنا)، وهو يصيح قائلاً:
- أريد أن أفهم.. ماذا تريدين؟ .

نظرت له (رنا) بوجوم، ثم قالت بتعجب:

- لست أفهم يقيناً ما الذي تقصده ؟!

- لماذا تتلصصين علي ؟
- أتلصص عليك !! ولماذا أفعل شيء كهذا؟
- ربما تنتقين ضحية جديدة .
- ماذا تعني ؟ هه .. ما الذي تعنيه بكلامك هذا ؟ هل تتناول مخدر ما ؟
- أين صديقتكِ الآن ؟
- وما شأنك بها ؟

-

- شأني أن صديقي كان يود التعرف بها قبل أن يتم قتله مباشرةً .
- واضح أنك تعاني من بارانويا متقدمة.

- بل أعاني من قاتل مهووس، ودون مواربة أشك بكِ وبصديقتكِ عجيبة الهيئة .

حدقت (رنا) بها لحظات، وخيل إليه أن عينيها تلتمع بالدموع.. اقترب منها ببطء، ثم قال بلكنة حاول أن يجعلها هادئة :
- لو كنتِ تعرفين شيئاً عن جريمة القتل البشعة أخبريني .

انهمرت الدموع غزيرة فجأة من عيني (رنا)، وقالت بصوت مختنق:
- أنا أسفة .

أمسكها (خالد) من ذراعها، سألها بحدة:
- أنتِ تعرفين ما حدث .. أليس كذلك ؟ أخبريني هل صديقتكِ هي من قتلت صديقي ؟

ثم تأمل شفتيها منتظراً أن تنفرج عن الإجابة التي تنهش عقله..

انفرجت شفتيها ببطء، وهي تقول ببطء وبنبرة حزينة:
- لا ليست هي .. أنا .. أنا من قتلته .

*****

تراجع (خالد) كالمصعوق من فرط المفاجأة، ثم تمالك أعصابه، وصاح بصت هادر:
- ولماذا؟ لماذا فعلتي هذا ؟

ارتجفت (رنا) بفعل نحيبها، وحاولت النطق لكن الكلمات تحشرجت داخل حنجرتها؛ فخرج صوتها مشوهاً بلا معنى .

أمسكها (خالد) من كتفيها، وهزها بعنف، وهو يصيح :
- لماذا ؟ لماذا بالله عليكِ فعلتِ هذا ؟

أجابته بصوت ضعيف مختنق:
- لم أقصد .. صدقني لم أكن أقصد شيئاً كهذا أن يحدث.. إنها التعويذة التي بالكتاب هي السبب.. كنت أظنها التعويذة الخاصة بإرسال ملكة شيبا إلى المكان الذي ذهبت إليه.. لكن أتضح أنها تفعل العكس.

ارتسمت البلاهة على وجه (خالد)؛ فسألها بتعجب :
- العكس !! لست أفهم شيئاً .

حدقت فيه وهي تقول بخوف :
- التعويذة.. التعويذة جاءت بملكة شيبا إلى عالمنا، وهي تجول الآن بحثاً عن ضحاياها؛ لتنتزع قلوبهم وتلتهمها .

*****

وقف (خالد) أمام النافذة، يراقب الطريق الذي كساه الظلام، وفي ذات الوقت يفكر فيما قالته له (رنا)، عن عودة ملكة شيبا إلى عالمنا.. كان يشعر بسخافة الفكرة، وبدت له كحكايات النداهة والغولة التي تخيف بها الجدات أحفادها.. لكن الحيرة ظلت تغزو عقله، وتطرح سؤال تلو الآخر.. وفي النهاية قرر أن يذهب إلى (رنا)، ويأخذ منها الكتاب؛ ليقرأه بتمعن، ربما فهم شيئاً، أو وجد به ما يذهب بحيرته بعيداً.

قرن قوله فعله، وغادر الفيلا إلى الفيلا المقابلة .. دفع باب الحديقة الحديدي الصغير، وتوجه ناحية باب الفيلا ..
فجأة ..

تعالى نباح كلب في طرف الحديقة البعيد.. كان نباحاً شرساً للغاية.. نظر (خالد) تجاه صوت النباح؛ فشاهد كلب ضخم بلون الليل ينبح ويتقافز بهياج.. أراد الذهاب نحوه ليعرف ماذا به؟ وما سر حالة الهياج التي انتابته.. لكنه تنبه فجأة إلى أن باب الفيلا منفرج قليلاً ..

ضغط بأصبعه على زر الجرس، وهو يشعر بحالة توجس تنتابه.. وعندما لم يجاوبه أحد دفع الباب ببطء، ودلف إلى داخل الفيلا، وهو يصيح منادياً :
- رنا .. هل أنتِ هنا ؟

اتسعت عيناه بهلع شديد، وهو يرى أثاث الصالة محطماً، وكأن صاعقة ضربت المكان.. المائدة الخشبية الثقيلة متفسخة، وكأن عملاقاً دهسها بقدمه ..الجدران ذاتها مشققة بطريقة مرعبة، وكأن أظافر حديدية قامت بخربشتها..

أراد أن يهتف منادياً مرة آخرى؛ لكن الكلمات أحتبست داخل حنجرته.. حاول مجدداً ونجح لكن الكلمات خرجت ممطوطة متقطعة:
- ر.. نا .. أ.. ين .. أ .. نتِ ؟

لم يكن يتوقع أية إجابة؛ لذلك انتفض مذعوراً عندما سمع صوت (رنا)، وهي تقول :
- خالد .. أنا هنا.

كان مصدر الصوت من الطابق العلوي؛ لذلك أسرع (خالد) يركض بكل طاقته إلى أعلى .. وعندما وجد (رنا) ممددة على الأرض جثا بجوارها، وقال:
- رنا .. ماذا حدث ؟

تأملته بعينين زائغتين، ثم قالت بوهن:

- لا أعرف .. لقد أظلمت الدنيا أمامي فجأة، ولم أفق إلا الآن .

أمسك يدها ليساعدها على النهوض، وهو يقول:

- الطابق السفلي محطم تماماً؛ كأنما انفجرت داخله قنبلة.

نهضت بضعف وهي تستند عليه، ثم قالت :
- لقد عرفت الحقيقة.. ملكة شيبا لا تحضركالشبح .. بل لابد لها من أن تحتل أحد الأجساد.

سألها (خالد) مستفسراً:
- ماذا تعنين ؟

أجابته بتوتر:
- أقصد أن شبح ملكة شيبا لا يتجول كشبح.. بل إنه أحتل جسد شخصاً ما.

- شخص !! مثل من ؟
- أعتقد أنها سما .. هي كانت هنا عندما فقدت الوعي .
- وأين ذهبت ؟

- وكيف لي أن أعرف بحق الجحيم .. لقد كنت غائبة عن الوعي .
- لابد أن نبحث عنها، ونتأكد أنها هي .
- حسناً .. هيا بنا .

- هبط الأثنان درجات السلم، وغادرا الفيلا .. وما أن لمحت (رنا) كلبها وهو ينبح، حتى اندفعت نحوه قائلة:

- سأخذ كلبي معنا .

تبعها (خالد)، وهو يقول :

- حسناً .. لكن احذري فقد كان مصاب بحالة هياج .

تقدمت (رنا) نحوه، وربتت على رأسه، وهي تقول :
- ماذا بك يا عزيزي ؟ ما الذي أخافك لهذه الدرجة ؟

لمح (خالد) عند أطراف الحديقة شيئاً لفت انتباهه؛ فتقدم بفضول حذر ليعرف كنهه، وما أن رأي هذا الشيء حتى تراجع بذعر شديد، وهو يقول :
- مستحيل!!

فقد كان ما رأه هو جثة الفتاة التي كانا يبحثان عنها ، وهما على يقين تام أنها هي القاتلة..

كانت جثة (سما) .

*****

لقد أظلمت الدنيا أمامي فجأة، ولم أفق إلا الآن .

*****

ملكة شيبا لا تحضركالشبح .. لابد لها من أن تحتل أحد الأجساد .

*****

تنبهت (رنا) على صيحته، ونظرت إليه متسائلة .. لكنها لمحت نظراته المذعورة، وهو يحدق برض الحديقة؛ فسددت هي الآخرى نظراتها تجاه ما ينظر إليه، ثم تراجعت هي أيضاً بذعر شديد، وهي تصرخ :
- إنه أنت القاتل .. لقد احتل الشبح جسدك أنت .

وبعد أن أنتهت من جملتها، ركضت تجاه الفيلا، وهي تواصل صراخها :
- لقد قتلتها أيها اللعين .

ركض (خالد) خلفها، وهو يقول :
- بل هي أنتِ .. إنها تحتل جسدكِ، وتسلبكِ عقلكِ .

دلفت الفتاة داخل الفيلا، وأوصدت الباب خلفها بإحكام، وصاحت من خلفه قائلة:
- لا يوجد غيرنا هنا .. وبالتأكيد لست أنا .

طرق (خالد) الباب بعنف، وهو يقول :
- بل هي أنتِ .. لكن شبحها يجعلكِ تغيبين عن الوعي .

- قلت لك لست أنا .. بل هو أنت أيها الأحمق .

- لا يهم هذا الآن .. افتحي الباب كي اقرأ ما بالكتاب.. ربما أجد حلاً لنا .

- أنت تكذب .. تعتقد أنها تحتل جسدي وتريد قتلي .. لا .. بل هي تحتل جسدك أنت وتريد قتلي .. انصرف .. لن أفتح أبداً .

- لكنكِ بهذه الطريقة ستضيعين أدنى أمل لنا .. لابد لي من إيجاد حل من هذا الكتاب .

- هل نسيت أنني قرأته .. الكتاب يحكي عن قصتها، وفي النهاية التعويذة ثم بعض صفحات مفقودة .

- ربما نجد الصفحات المفقودة موضوعة في مكان ما .. دعيني أدخل لنبحث معاً .

- لا .. لن أفتح لك أبداً .

نظر (خالد) لباب الفيلا برهة، ثم أطرق رأسه، وانصرف مبتعداً بخطى بطيئة .. يائسة.

*****

دلف (خالد) إلى حجرته مفكراً.. بينما شقيقته (أسماء) تجلس على أرضية الحجرة، وتلهو بدميتها، وعندما شاهدته على تلك الحالة، سألته قائلة :
- ماذا بك ؟

نظر إليها بعدم إهتمام، وقال :
- إنه شيء .....

بتر عبارته بغتة، عندما تناهى إلى مسامعه صوت صرخات قادمة من فيلا (رنا)؛ فأندفع يعدو، وهو يصيح :
- يبدو أنها عادت مرة آخرى .

استوقفته شقيقته على باب الحجرة، وقالت:
- من هي التي عادت ؟

أجابها بسرعة :

- نعتقد أنه شبح .. دعيني الآن لأذهب.. سأقص عليكِ كل شيء عند عودتي .

هتفت (أسماء) بحزم، وقالت :
- لا .. لن أدعك تذهب إليها .

صاح (خالد) بها بنفاذ صبر، وقال:
- يجب أن أذهب .. أنتِ لا تفهمين شيئاً .

هزت رأسها نافية، وهي تقول :
- بل أنت الذي لا تفهم شيئاً .

صمتت برهة ثم استطردت :
- أنا ملكة شيبا .

وكانت مفاجأة رهيبة !!

إلى أقصى حد .

*****

شـاهدت فتـاة حسـناء تجلـس فـي شـرفة الفيلا المقابلـة وهـي تتصفح كتاب.

*****

أعتقد أنهـا تعويـذة نفـي الملكـة.. لقد قرأتهـا أمس، ولـم يحـدث شيئاً.

*****

قام بوضعها داخل خزانة الملابس، ثم أغلق عليها الباب.

*****

افتح الباب أرجوك.. إننـي أخـاف الظـلام.. خالد .. لا.. لا.. لا ..لا.

*****

لـم أقصـد .. صـدقني لـم أكـن أقصـد شيئاً كهذا أن يحـدث.. إنهـا التعويذة التي بالكتاب هي السبب.. كنت أظنهـا التعويذة الخاصـة بإرسال ملكة شيبا إلى المكان الذي ذهبت إليه.. لكن أتضـح أنهـا تفعل العكس.

*****

التعويذة.. التعويذة جاءت بملكة شيبا إلى عالمنـا، وهـي تجول الآن بحثاً عن ضحاياها؛ لتنتزع قلوبهم وتلتهمها .

*****

ملكة شيبا لا تحضركالشبح .. بل لابد لهـا مـن أن تحتل أحد الأجساد.

*****

" هي ملكة تبحث عن الحب والقلوب الدافئة "

*****

ألم أقل لك " لا تقابلها مرة آخرى "

*****

" هي أسطورة حزينة جداً.. عن ملكة شيبا "

-٣-

تراجع (خالد) إلى الخلف بذهول شديد، وأخذ يردد بلا وعي :
- لا .. لا .. لا .. مستحيل أن تكون أنتِ !! مستحيل .

تقدمت شقيقته نحوه ببطء شديد، وقد تعاظم جسدها حتى لامس سقف الحجرة، وتلون وجهها بلون بنفسجي عجيب، تتراقص عليه خيوط من النيران . بينما عينيها قد تلونت بلون الدم .

هتفت هي بصوت رنان عميق وكأنه صاعد من قلب كهف سحيق، وقالت :
- أخبرتك سابقاً أن تبتعد عنها لكن رفضت مطلبي، مع أنك كنت مدين لي .

قال (خالد) بصوت ضعيف مهزوز :
- لست أفهم شيئاً .

هدرت هي بصوت مخيف :
- أنا ملكة شيبا .. ملكة مملكة شيبا العظيمة .. كنت دائماً أبحث عن الحب في قلوب الرجال.. لكنهم كانوا ضعفاء ..

وعند عودتي هذه المرة وجدتك أنت .. لقد أحببتك .. لكنك كنت مغرم بهذه الحمقاء .. طلبت من أن تبتعد عنها .. لكنك كنت مسحور بجمالها المزيف.. أنا ملكة شيبا، وقد أخترتك زوجي من بين البشر .

هوى (خالد) على أرضية الحجرة، وهو يتمتم في ذهول :
- أتزوجكِ !! كيف ؟! هذا مستحيل أنتِ شقيقتي .

ومضت عينيها ببريق ناري أحمر، وهي تقول :
- أنت ستتزوجني أنا .. أنا أحتل جسدها فقط .. مجرد وعاء لي .

هز رأسه غير مصدقاً، وقال :
- هذا محرم تماماً .. مستحيل ن أتزوج شقيقتي حتى لو كانت مجرد وعاء .

تناهى إلى مسامعه صرخات (رنا) صاعدة من الفيلا المقابلة؛ فهب واقفاً وهو يصيح :
- ماذا تفعلين بها أيتها اللعينة.

انغلق باب الحجرة بقوة، وتهشمت النوافذ بعنف شديد، وطار جسده ليرتطم بخزانة الملابس، ثم هوى أرضاً وهو يشعر

بـألم شـديد .. بينمـا قالـت ملكـة شـيبا بلهجـة تجمـد الـدماء فـي العروق :
- أنـت لسـت مخيـراً بـالقبول أو بـالرفض .. لكنـي سـأكون رحيمة بك .

صمتت برهة ثم استطردت بلهجة أشد إخافة :

- تزوجني أو سأقتل جارتك الحسناء .

أطرق (خالد) رأسه أرضاً، وتمتم بنبرة منكسرة منهزمة:
- سأتزوجكِ .

هنا أنطلقت ضحكات الملكة عالياً، تهز أرجاء المكان .

لقد أنتصرت.

*****

تضـاءل جسدها وتلاشـت هيئتهـا المخيفـة، وعـادت إلـى هيئـة (أسماء) الحقيقة، ثم قالت بنبرات طفولية عادية :
- هيا بنـا .

نهض (خالد) وهو يشعر بـألم شديد يفتك بجسده كلـه، ثم قـال بضعف :-

- أنتظري .

رمقته بنظرة متساءلة، وقالت :
- ماذا تريد ؟

أشاح بكفه، وهو يقول :
- جاءتني فكرة سديدة .

سألته مرة آخرى:
- فكرة عن ماذا ؟

تقدم نحوها ببطء، وقال :
- أنتِ تستطيعين أحتلال الأجساد .. وأنا أحب (رنـا) .. لـذلك أرى أن أحتلالكِ لجسدها سيكون أفضل كثيراً .

هزت رأسها نافية، وصاحت بعنف :
- لا .. أنا أكرهها .

ربت (خالد) على رأسها، وقال بحماسة :

- هذا سيكون أفضل لنا .. زواجي من رنا سيكون طبيعياً للغاية .. لكن زواجي بشقيقتي سيكون مستحيلاً أمام الناس .. فبالأضافة إلى أنه محرم تماماً، شقيقتي صغيرة السن للغاية.. سنها لا يتجاوز عشرة سنوات .

ضاقت عينيها، وأخذت تفكر بعمق، ثم قالت :
- نعم .. هي فكرة سديدة فعلاً .. وستربح أنت كذلك .. ستعود شقيقتك، وستتزوج ممن تحب.. لكنك ستكون عبدي إلى الأبد .. لا تنسى هذا .

تلوى جسدها بشكل مؤلم عنيف، وتألق جسدها بخيوط بنفسجية وخيوط حمراء، ثم اندفعت تلك الخيوط خارج جسدها، وأخذت تتلوى في سماء الحجرة؛ لتتشكل معاً، وتتخذ هيئة شبحية مرعبة للغاية.

هوت (أسماء) أرضاً مغشياً عليها؛ فذهب شقيقها إليها، وربت على وجنتيها، وهو يقول :
- أسماء .. هل أنتِ بخير.

هتفت الملكة بصوت كالرعد، وقالت:
- هي بخير الآن .. هيا أنهض حتى نذهب إلى جسد حبيبتك .

نهض (خالد) ببطء، و نظر إليها نظرة مبهمة، ثم صاح فجأة مردداً :
- سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا .

تخبط شبح الملكة بجدران الحجرة، وهي تصيح بصوت هادر :
- ماذا تفعل أيها اللعين .

لم يجاوبها، وظل يردد ذات العبارات :
- سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا .

اشتعل جسدها فجأة وتأجج بالنيران، واخذت تصرخ بهلع :
- لقد خدعتني أيها اللعيييين .

انفجر جسدها فجأة كقنبلة ضوئية، واشتعلت النيران بالحجرة .

أنبطح (خالد) أرضاً؛ بينما النيران تتطاير فوق رأسه، وتتساقط على أرضية الحجرة لتشعلها بدورها.

حمل (خالد) جسد شقيقته، واندفع خارجاً من الحجرة التي تأكلها النيران ..

قابل والديه في الردهة.. سأله والده بجزع :
- ماذا حدث يا بني ؟

هتف (خالد) بأنفاس متقطعة :
- الحجرة تشتعل بالكامل .

*****

أسند (خالد) ظهره على سيارة المطافيء؛ بينما كان يراقب رجال الإطفاء، وهم يكافحون بشدة، من أجل السيطرة على الحريق ..

قفت (رنا) بجواره، وقالت:
- ماذا قلت لوالديك ؟

نظر (خالد) لها، وقال :
- قلت لهما " أن الحجرة أشتعلت من تلقاء نفسها "

ابتسمت هي بالرغم منها، وقالت:

- وهل صدقوك ؟

هز رأسه، ونظر إلى شقيقته التي كانت والدته تحتضنها، ثم قال :
- لا يهم هذا الآن .. الأهم أن شقيقتي على ما يرام .

أطرق رأسه هنيهة، ثم رفعها ونظر إلى (رنا)، وهو يقول بأمتنان :
- شكراً لكِ .

بينما ذاكرته تعود به إلى ساعات قليلة ماضية .

*****

نظر (خالد) لباب الفيلا برهة، ثم أطرق رأسه، وانصرف مبتعداً بخطى بطيئة .. يائسة.

توقف بغتة على صيحة (رنا)، وهي تقول :
- أنتظر .

أقترب من باب الفيلا، وقال :

- ماذا تريدين ؟

فتحت باب الفيلا، ونظرت إليه نظرة عميقة، ثم قالت :

- لقد تنبهت إلى شيء بالغ الأهمية .. الكلب رأى القاتل بالتأكيد .. لكنه لم يهجم عليك عندما ذهبت إليه .

تنبه فجأة إلى تلك النقطة؛ فهز رأسه مؤيداً، وقال :
- وكذلك لم يهجم عليكِ أيضاً .. إذن القاتل ليس منا .

جذبته من يده، وهي تقول بحماسة :
- هيا بنا إذن .. أعتقد أنني أعرف أين أجد صفحات الكتاب الضائعة .

تبعها وقد أنتقل إليه حماسها، وقال :
- أين ؟

- في حجرة والدي .. أعتقد أن والدي كان يعرف .
- ومن أين عرفتي هذا ؟

- طريقة أخفاءه للكتاب تدل على هذا .
-

- لكني لم أفهم بعد .. من أين عرفتي طريق الصفحات الضائعة .

- هو مجرد أستنتاج .. في مكتب والدي الخشبي درج سري صغير الحجم، ومقفل دائماً .. على الأرجح الصفحات الضائعة موضوعة به.

صعدا معاً درجات السلم، ودلفا إلى حجرة مكتب والدها.. ثم ذهبت هي إلى المكتب الخشبي، وأشارت إلى درج صغير الحجم، وقالت:
- هذا هو .. أبحث عن شيء لنفتحه .

عبث (خالد) بالمكان باحثاً عن أي شيء يصلح؛ لكنه لم يجد فقال بسرعة:
- سأذهب إلى المطبخ لأحضر سكيناً .. هل والدتكِ نائمة ؟

أجابته قائلة:
- أمي ليست هنا .. لقد ذهبت إلى خالتي منذ ثلاثة أيام؛ لذلك كانت صديقتي معي لتؤنسني.

غاب (خالد) بالخارج ثوان قليلة، ثم عاد وهو يتنفس بسرعة، وبدون أن ينطق ذهب تجاه المكتب، وأخذ يعالج الدرج الصغير بالسكين .

أنفتح الدرج بعد محاولات عديدة، وجثت (رنا) على أرضية الحجرة تنقب داخل الدرج .. طال الوقت وهي تبحث كالمحمومة؛ ثم توقفت فجأة، وقالت بصوت مختنق :
- الصفحات .. الصفحات ليست هنا .

لمح (خالد) ظرف مهتريء أصفر اللون؛ فأشار إليه قائلاً :
- ربما تجديهم داخل هذا الظرف .

ألتقطت (رنا) الظرف بلهفة، وأخرجت من داخله بضعة أوراق أخذت تقرأهم بصوت مرتفع:
- " عزيزتي رنا : لو يوم ما وجدتِ هذه الأوراق أعلمي شيئاً واحداً .. فيما مضى كانت لكِ شقيقة كبرى .. لكنها للأسف ماتت بين يدي .. السبب هو ذلك الكتاب الملعون .. لا يهم من أين جئت به ؟! الأهم هو أن روحاً شريرة لملكة قديمة أحتلت جسد شقيقتكِ .. وكنت أنا السبب في هذا .. لذلك مزقت صفحات الكتاب .. هل تعرفين لماذا ؟ لأن الشبح عندما خرج من جسدها دمره تدميراً .. لذلك أرى أن تسكنها روح شريرة

أفضل ألف مرة من أن أراها تموت .. لو قرأتي الكتاب يوماً ستجدين في غلافه الأخيرة إشارة إلى هذه الرسالة، وربما لن تنتبهين لها .. وربما أيضاً لن تقرأين الكتاب .. لو حدث وعاد شبح الملكة .. ستكررين تلك الطلاسم

(سيرساكوبولا .. ماتور ساماري .. هيدا زيلا) سترحل الملكة، وكذلك الجسد الذي ستحتله.. إلا لو وجدتِ طريقة مناسبة لإخراجها من الجسد .. ستتساءلين عن عدم تدميري للكتاب .. الكتاب للأسف غير قابل للتدمير .. والصفحات الناقصة نزعتها بمعجزة كبيرة.. صدقيني حاولت كثيراً أن أفعل المثل بكل صفحات الكتاب .. لكن على ما يبدو أن الكتاب ذاته كان يرى أن أختفاء هذه الصفحات أفضل .. اكتب هذه الرسالة وكل أملي ألا تجدي الكتاب مطلقاً "

*****

استعاد (خالد) تلك الذكرى، ثم أمسك بكف (رنا)، ونظر إلى عينيها الذهبية اللون، وقال بهيام:
- لولاكِ لكنت تزوجت شقيقتي .

انطلقت هي تضحك بمرح، وقالت:
- إذن أنت مدين لي .

ابتسم هو بدوره، وقال :
- لا تذكري هذه الكلمة مرة آخرى .. لقد صرت أكرهها .

نظرت له بحنان، وقالت:
- عندي كلمة آخرى ستعجبكِ .

بادلها النظرات، وقال بافتتان :
- أعتقد أنني أعرفها .

أطرقت رأسها أرضاً بخجل، وقالت بخفوت :
- وما هي ؟

ملس بكفه على شعرها الذهبي، وقال بهيام :
- أحبكِ .

" تمت بحمد الله "

فهرس الكتاب

تأملات علي السطح المصقول	3
أحتاج إلي رداء آخر	6
الملتهم	12
القادم من المقابر	25
عويل الأشباح	46
ملكة شيبا	80

صدر للكاتب

شارك بقصة (حدث ليلاً) ضمن مجموعة

أعذريني ومخاوف أخري

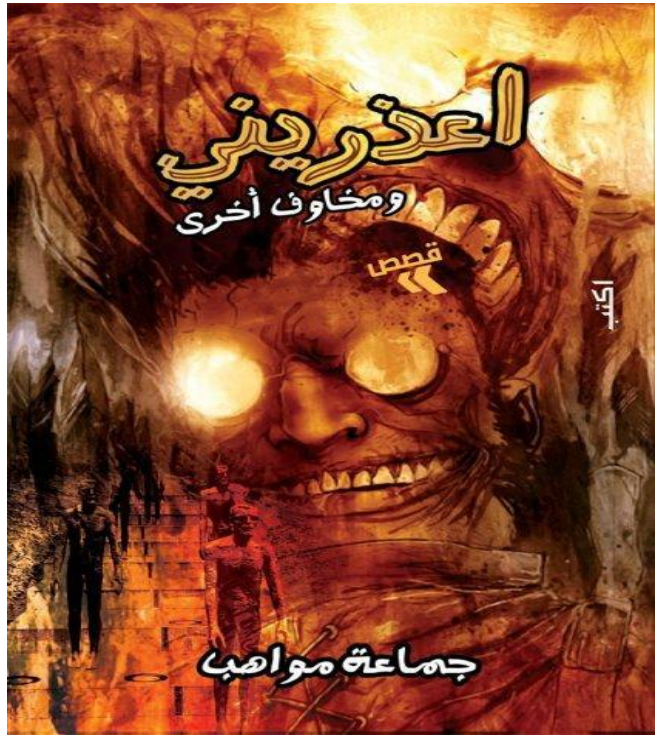

ويصدر له حالياً رواية من إصدارات التكية

بعنوان (بينما كانت بالداخل)

كما صدر له أيضاً كتاب ألكتروني من دار

رواية بعنوان (خريف بنكهة الفانيلا)

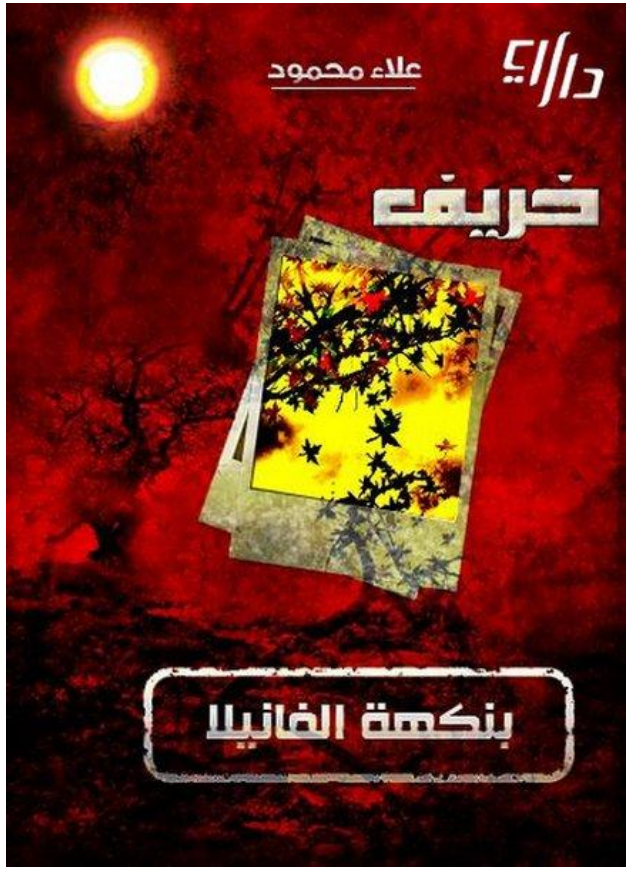

الكاتب

علاء محمود

غلاف

عبد الهادي إبراهيم- DRAK ART

تنسيق

مصطفي اليماني-ميكون

جميع حقوق النشر الألكتروني للكاتب محفوظة وأي إعادة نشر ألكتروني أو ورقي دون الرجوع للكاتب تعرض صاحبها للمساءلة القانونية ..